

كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

الطريق
إلى الوحدة الإسلامية

اعداد مجموعة من الباحثين

السنة الثالثة عش
ذي الحجة ١٤١٥هـ - العدد ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

هذه البحوث سبق أن طرحت في المؤتمر العالمي السابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي وكانت تحت عنوان الوحدة الإسلامية الاطار النظري وخطوات التطبيق بالتعاون مع صندوق التضامن الإسلامي وحركة الشباب المسلم الماليزي.

وقد طلبت من الأستاذ الدكتور مانع الجهني الأمين العام للندوة العالمية للشباب أن تكون ضمن سلسلة دعوة الحق لتعم الفائدة فسمح بنشرها واخترت لها عنواناً «الطريق إلى الوحدة الإسلامية» كاسهام في تكوين رأي عام حول موضوع الوحدة الإسلامية وكمقدمات على طريق الوحدة خاصة وان الوحدة الإسلامية تفرض نفسها بالحاح على الأمة المسلمة.

المشرف

محمد محمود حافظ

الفصل الأول :

الوحدة الإسلامية في السنة النبوية

ويتضمن :

١ - عالمية الإسلام .

٢ - إعلان قيام دولة الإسلام .

٣- دعائم الوحدة الإسلامية .

٤ - المساواة .

٥ - لا عصبية في الإسلام .

٦ - الموالاة .

٧- وجوب لزوم الجماعة .

بقلم دكتور

أبولبابة بن الطاهر حسين

مقدمة

يحسن بنا ونحن نتناول الوحدة الإسلامية في السنة النبوية بالبحث أن نعرف عناصر هذا العنوان حتى نتبين حدود موضوعنا ونرسم ملامحه من خلالها.

والوحدة وإن لم تتعرض معاجمنا العربية الهامة كلسان العرب لتعريفها، فإنها أشارت إلى معاني جملة من مشتقات صيغة «وحدة»: كالواحد، والوحدان، والوحيد، والأحد والتوحيد ونحوها[1]، ومن خلالها ندرك أن الوحدة هي التفرد وإذا أضفنا التفرد إلى الأمة أصبح المعنى تفرد الأمة الإسلامية عن بقية الأمم وتميزها بمميزات وخصائص تجعلها متجانسة ومتحدة كأنها رجل واحد وتوحيدها يعني جمع آحادها، وجعلهم جماعة واحدة لا تنفصم، ويعبر عن هذه الوحدة في كتب السنة والفقه والأصول بالجماعة أو بجماعة المسلمين.

أما الإسلام فقد جاء في حديث جبريل عليه السلام الذي يرويه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال جواباً عن سؤاله: ما الإسلام؟ ما الإيمان؟: (الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلاً)، (والايمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[2].

---

(١) لسان العرب ٣/ ٤٤٦ - ٤٥٣ (دار صادر- بيروت).

(٢) جامع الأصول ١/ ١٣٠ رواه مسلم، والترمذي وأبوداود، والنسائي واللفظ لمسلم.

أما السنة فلئن كان معناها اللغوي: المنهج والطريقة فإنها في اصطلاح جمهور علماء الحديث: هي ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو إقرار أو صفة خَلْقِيَّةٍ، أو خُلُقِيَّةٍ، حقيقة. أو حكماً، ويضيف بعضهم: وما أثر عن الصحابي، أو التابعي من قول أو فعل.

وبناء عليه فحديثنا سيكون منحصراً في توحيد الشعوب والأمم المسلمة في ظل عقيدة الإسلام وشريعته من خلال السنة النبوية الأمر الذي سيتيح لنا الاستفادة من كتب الحديث وشروحها، وكتب السيرة لتقرير ملامح هذه الوحدة مع الاستئناس بالدراسات والكتابات التي تناولت الوحدة الإسلامية واسترشد كتابها فيها بالكتاب والسنة.

وان الحديث عن الوحدة والدعوة إليها وبعثها من جديد على أنقاض الشتات والفرقة، والتشرذم، والضعف، ينبغي أن يكون واجب كل مسلم مكلف قادر، بلسانه، وقلبه، وبكل وسيلة متاحة لديه. فالوحدة الإسلامية ينبغي أن تكون هاجس شباب الإسلام الجاد الملتزم غير المنهك بأباطيل الالحاد، والملوث بشبه التغريب وضلالاته. وعلى مفكري الإسلام، وعلمائه، وقياداته، والقائمين على وسائل الإعلام المكتوبة، والمسموعة، والمرئية، أن يعلنوها حرباً شعواء على دعاة التفرقة، والعنصرية، وأن يجلوا حقيقة الإسلام الداعية إلى وحدة المسلمين وتعاونهم وتضامنهم- حيث تذوب الفوارق اللونية والجنسية والاقليمية والقومية.

وماينبغي أن يثبط واقع المسلمين اليوم من همم المخلصين للوحدة المنشودة، فما يبدو اليوم عسيراً بعيد المنال قد، يتحول بعون الله وتوفيقه ثم بالإيمان والاخلاص، والتخطيط سهلاً قريب المنال.

١ - عالمية الإسلام :

وان عالمية الإسلام الدين الخاتم توجب وحدة الإنسانية بمختلف أجناسها، وتدعو إلى صهرها في بوتقة الإيمان بالله الواحد بدون تفرقة، جاء في صحيح البخاري من حديث جابر بن عبدالله يرفعه (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة)[١] وفي رواية (إلى الناس عامة)[٢]، وجاء في مسند أحمد من حديث ابن عباس: ان الرسول قال: (بعثت إلى كل أحمر وأسود فليس من أحمر ولا أسود يدخل أمتي إلا كان منهم)[٣]. واختلاف الألوان واللغات والأجناس والأوطان آية من آيات عظمة الخالق، ولا ينبغي أن تقف حائلاً دون هذه الوحدة. قال تعالى: ﴿**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين**﴾ (الروم آية ٢٢).

ولما كانت رسالة الإسلام عالمية غير محدودة بعصر ولا جيل معين فإنها خاطبت كل الأمم وكل الشعوب، وكل الأجناس، وكل الطبقات. بقوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ (الأنبياء ١٠٧)، ﴿**قل يأيها الناس اني رسول الله إليكم جميعاً**﴾ (الأعراف: ١٥٨) ولذلك دعا الرسول ﷺ الخلق جميعاً إلى الإسلام، دعا القبائل ودعا الملوك ورؤساء الشعوب والدول إلى الإيمان بالإسلام[٤].

(١) البخاري- الصلاة- باب قول النبي ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً ١/ ٣٣.
(٢) البخاري- التيمم- الباب أول ١/ ٤٣٦.
(٣) مسند أحمد ١/ ٣٥٠.
(٤)انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٥٨.

كتاب الله يأمر المسلمين بالوحـدة ولزوم الجماعة

وكتاب الله دعا المؤمنين إلى التمسك بالوحدة حبل الله المتين فقال: ﴿**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا**﴾ (آل عمران: ١٠٢-١٠٣)، كما دعا إلى التآلف وعدم التنازع بين المسلمين ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾ (الأنفال ٤٦)، وقد امتن الله تعالى على رسوله بجمع قلوب المسلمين فقال تعالى: ﴿**لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم**﴾ (الأنفال: ٦٣) وحذر المسلمين من التفرق بعد نعمة الإسلام وتوعد دعاة الفرقة بالعذاب ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم**﴾ (آل عمران: ١٠٥).

وإن أمر القرآن للمسلمين بالاعتصام بحبل الله هو دعوة مفتوحة مستمرة (لم ينقض بانقضاء عهد الخروج من الجاهلية والدخول إلى الإسلام، وإنما هو قائم دائماً مادام في الأرض مسلمون، فمثل هذا الأمر في القرآن لا يخص قوماً بأعينهم ولا عهداً بعينه، ولا مكاناً بعينه، وإنما هو أمر شامل عام واجب الاحترام في كل زمان ومكان).

ولهذا نرى أعداء الإسلام ينزعجون من انتشار القرآن بين المسلمين ويعتبرونه العقبة الكؤود أمام هيمنتهم على الأمة الإسلامية، والتسلط على مقدراتها، وهذا اللورد كرومر أحد أساطين الاستعمار الإنجليزي ي علن بدون مواربة: أنه يستحيل على الاستعمار أن يستقر وسط أمة يعيش بين ظهرانيها.

الرسول ﷺ يؤكد وجوب الوحدة

وقد أكد الرسول ﷺ على وجوب التمسك بالجماعة واعتبراها رحمة كما اعتبر الفرقة عذاباً، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يأيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: (... عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة[١] الجنة فليلزم الجماعة...)[٢]. وروى مالك في موطئه حديثاً مرسلاً عن سعيد بن المسيب عن رسول الله ﷺ قال: (الشيطان يهم بالواحد والاثنين وإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم)[٣].

وجاء عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال على المنبر: (الجماعة رحمة، والفرقة عذاب)[٤]. وروى ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يد الله على الجماعة)[٥].

---

(١) بحبوحة الجنة: أوسطها وأرحبها.
(٢) الترمذي- الفتن- باب ماجاء في لزوم الجماعة ٤/ ٤٦٥-٤٦٦ مسند الشهاب ١/ ٢٧٧.
(٣) الموطأ ٦٩٤- كتاب الجامع- باب ماجاء في الوحدة في السفر عدد الحديث ٧٨٩.
(٤) مسند أحمد ٤/ ٢٧٨- مسند الشهاب ١/ ٤٤.
(٥) مسند الشهاب ١/ ١٦٨.

وقد حذر عليه الصلاة والسلام من الفرقة وعد الخارج عن جماعة المسلمين كافراً.

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من فارق الجماعة شبراً خلع ربقة الإسلام من عنقه)[١].

وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من نزع يده من الطاعة لم يكن له يوم القيامة حجة، ومن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية).

والإسلام يمقت الفرقة والعزلة حتى أضحت الجماعة سمة من سماته المميزة، فهو يحض على التجمع في كل الأحوال حتى وان كان ذلك في سفر، جاء في الموطأ عن عمرو بن شعيب عن أبيه[٢] عن جده[٣] أن رسول الله ﷺ قال: (الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب)[٤] وعلى هؤلاء الركب أن يؤمروا أحدهم يلتفون حوله: فيسدد خطاهم ويزيل ما قد ينشأ بينهم من اختلاف في الرأي، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)[٥].

(١) مسند أحمد ٥/ ١٨٠- مسند الشهاب ١/ ٢٧٦.
(٢) مسند الشهاب ١/ ٢٧٧.
(٣) شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص.
(٤) عبدالله بن عمرو.
(٥) الموطأ- ٦٩٤- كتاب الجامع- باب ماجاء في الوحدة في السفر للرجال والنساء- أبوداود- الجهاد- باب في الرجل يسافر وحده متن بذل المجهود ١٢/ ١٠٩.

الرسول ﷺ يعد لبناء الوحدة الإسلامية منذ بعثته وهو في مكة

وقد يذهب في روع الدارسين أن الوحدة الإسلامية إنما برزت للوجود مع الهجرة، بينما يشير واقع الدعوة إلى أن أولى لبنات الوحدة وضعت في مكة عند أول دعوة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، فقد وحدت في العقيدة الوحدوية بين معتنقيها من العناصر المختلفة في مكة من الرجال والنساء والأشراف والضعفاء والأحرار والعبيد والعرب والعجم، فتجد خديجة زوج النبي ﷺ وأبابكر الصديق وعماراً[١] وأمه سمية، والمقداد بن الأسود[٢]، وبلالاً الحبشي، وصهيباً الرومي وغيرهم يتبنون الإسلام ويجدون حلاوة الإيمان، فيجهرون به، ويعرضون أنفسهم لأذى قريش، بل ان رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين القلائل يتعرضون- وهم بمكة- لمحنة المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية، وللحرب النفسية التي وثقتها قريش في صحيفتها الظالمة ارهاباً لبني هاشم، وبني عبدالمطلب وانتقاماً منهم لحمايتهم لرسول الله ﷺ، إلا أن هذه المحنة لم تزد المسلمين إلا تعلقاً بعقيدهم وانصهاراً في وحدة صماء لا تلين قناتها.

---

(١) أبوداود- الجهاد- باب في القوم يسافرون ويؤمرون أحدهم- متن بذل المجهود ١٢/ ١١١.
وينتهي نسب عمار إلى يشجب بن يعرب بن قحطان، قال ابن سعد: قدم والد عمار ياسر بن عامر وأخواه الحارث ومالك من اليمن إلى مكة يطلبون أخا لهم فرجع أخواه وأقام ياسر وحالف أباحذيفة المخزومي فزوجه أمة له اسمها سمية فولدت له عماراً فأعتقه أبوحذيفة (سير أعلام النبلاء ١/ ٤٠٦).
(٢) هو المقداد بن عمرو، ولكن قيل له المقداد بن الأسود لأنه ربي في حجر الأسود ابن عبد يغوث الزهري فتبناه وقيل كان عبدالله أسود اللون فتبناه (سير أعلام النبلاء ١/ ٣٨٥).

وإن قراءة سريعة لأسماء المهاجرين إلى الحبشة توقفنا على أنهم ينتسبون إلى قبائل مختلفة[1]، كما أن جماعة بيعة العقبة الكبرى تنسب إلى دور مختلفة من الأوس والخزرج[2]، مما يثبت ولادة أمة جديدة تنتسب إلى الإسلام وتجمعها عقيدة التوحيد بدل وشائج الدم والقبيلة.

إعلان قيام دولة الإسلام

وجاءت الهجرة لتجمع المسلمين في المدينة، وتوحد صفوفهم وتحقق لهم العزة والمنعة بعون الله تعالى، ولتضع حداً لإرهاب الشرك وعدوان الكفر ولتمكنهم من عبادة الله بحرية وتنفيذ أحكام الله و إقامة حدوده.

وان كتاب الموادعة[3] الذي كتبه الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار من جهة، وساكني المدينة من بقية الطوائف من جهة أخرى، يعد وثيقة إعلان وحدة الأمة الإسلامية، فما جاء في تلك الوثيقة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس».

ثم يعدد مجموعة من طوائف المسلمين، ويؤكد على تضامنها.

---

(١) انظر خبر الصحيفة في سيرة ابن هشام ١/ ٣٥١.
(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٢١-٣٤٠ ففيهم: من بني هاشم، بني أمية، بني أسد، بني عبدشمس، بني نوفل، بني أسد، بني زهرة وغيرها من القبائل.
(٣) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٤.

مؤاخاة الرسول ﷺ بين المسلمين :

ولحماية هذه الوحدة ودعم بنائها أعلن عليه الصلاة والسلام غداة هجرته المؤاخاة بين المسلمين فقال: «تآخوا في الله أخوين»[1]، فعقدت بين المهاجرين والأنصار من جهة، وبين المهاجرين فيما بينهم، والأنصار فيما بينهم أخوة مثل أخوة النسب، ذلك أن المهاجرين ليسوا من قبيلة واحدة، وليسوا كلهم من قريش كما أن الأنصار في حاجة إلى المؤاخاة حيث كان كل من الأوس والخزرج إلى عهد قريب متنافرين يذكي اليهود بينهم العداوة والبغضاء.

وبذلك امتزجت في مدينة الرسول ﷺ كل العناصر العربية، والأعجمية الفقيرة والغنية، الأحرار والعبيد ليخرج منها «مزيج متحد في خواصه وأوصافه يختلف عن كل عنصر من عناصر ذلك الممتزج»[2]، على ملحظ الشيخ أبي زهرة الذي يدعو إلى احياء هذه المؤاخاة في العصر الحديث بين الطوائف الإسلامية لإزالة الوحشة بينهما.

وقد غسلت هذه المؤاخاة الأنفس من أرجاس الجاهلية وماتمثله من عصبية وأثره ورفعتها إلى مستوى خلوص الود والإيثار والتضحية في سبيل الأخوة الإسلامية بالروح والأهل والمال.

وقد عاش المسلمون هذه الأخوة عملياً في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته، فهذا حمزة بن عبدالمطلب أسد الله، وأسد رسوله

---

(١) المصباح المضيء ٢/ ٦٠٥- وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٥٠١.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٥.

يوصي يوم أحد حين حضره القتال ان حدث به حادث الموت إلى أخيه زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ[1] وهذا بلال مولى أبي بكر الصديق مؤذن رسول الله ﷺ يقول له عمر حين خرج (بلال) إلى الشام مقيماً بها ومجاهداً: إلى من تجعل ديوانك يابلال؟ قال: مع أبي رويحة عبيد الله بن عبدالرحمن الخثعمي لا أفارقه أبداً للأخوة التي كان رسول الله ﷺ عقد بينه وبيني، فضم إليه، وضم ديوان الحبشة إلى خثعم لمكان بلال منهم. ويقول ابن هشام المتوفي سنة ٢١٨هـ (فهو- أي ديوان الحبشة- في خثعم إلى هذا اليوم بالشام)[2].

وقد ظل الرسول ﷺ طوال حياته يرعى وحدة المسلمين وأخوتهم، ويدفع عنها كل ما من شأنه أن يضعفها ومن ينظر في حياة الرسول ﷺ بالبصيرة ويبحث في أصول الإسلام بالروية يجد أن مبدأ التوحيد والاتحاد والوحدة مرمى كل عمل وأساس كل تشريع يسنه، وقد كابد عليه الصلاة والسلام في سبيل ذلك من عنت الشرك، وسفه الجهالة وافراط العصبية[3].

عوامل توحيد الأمة

إن كل مافي الإسلام يدعو إلى تجميع المسلمين وتوحيد صفوفهم حتى أصبحت الوحدة- سمة الإسلام البارزة: فالعقيدة توحد تصور المسلمين للكون في عالمي الغيب والشهادة، والعبادات من صلاة وصوم وزكاة

(١) الوحدة الإسلامية لأبي زهرة ٥٩.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٥.
(٣) المرجع السابق.

وحج وعمرة توحد مشاعرهم، وتجمع قلوبهم على غاية واحدة هي عبادة الله والتقرب إليه، كما أن الحلال والحرام والعقوبات على اختلافها تسوي بين الجميع وتوحد بينهم.

كما أن فروض الكفاية[1] وطلب مايسد حاجة المجتمع ويوفر له الكفاية من علوم وحرف وصنائع ونحوها، تجمع بينهم في المسؤولية، وتوحد بينهم في السعي لتوفير تلك الحاجة.

والإسلام فرض التقاء المسلمين في كل أسبوع مرة في صلاة الجمعة كما شرع لهم الاجتماع في جملة من المناسبات السارة والحزينة، على حد سواء، فهم يجتمعون في صلاة العيدين وصلاة الجنازة والاستسقاء والكسوف... كما حض على صلاة الجماعة وضاعف عليها الأجر. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة»[2].

ودعا إلى تسوية الصفوف وتراصها، وحتى (إذا صلى المسلم في خلوة لم تزل الجماعة في وجدانه وضميره، فهو إذا ماناجى الله ناجاه بصيغة الجمع، وإذا دعاه دعاه بصيغة الجمع[3]: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم**﴾ (الفاتحة: ٥-٦).

كما أن التاريخ المشترك وحد بين المسلمين بداية من الحروب التي خاضوها ضد طغيان الشرك في عهد الرسول ﷺ فحروب الردة ثم الفتوح التي صهرت الشعوب الداخلية في الإسلام في أمة واحدة، وكان ذلك في

---

(١) أحسن ماقرأت عن الإسلام ٥٤ (الإسلام دين التوحيد والوحدة- محمد مصطفى المراغي).
(٢) انظر الحرية في الإسلام لمحمد الخضر حسين ٣٣.
(٣) البخاري- تفسير سورة الاسراء- باب ان قرآن الفجر كان مشهوداً ٨/ ٣٩٩.

عهد الصحابة ومن جاء بعدهم، إلى الحروب الصليبية وما جد بعدها من الهجوم التتري الهمجي، إلى الوقوع تحت الهيمنة الاستعمارية الحديثة، فمعارك التحرير من نير الاستعمار وغيرها من الأحداث التي عاشها العالم الإسلامي في تاريخه الطويل.

وها هي أن الأمة الإسلامية المضرجة بسموم الإلحاد والصليبية والتغريب، تحاول تجميع صفوفها عبر مؤتمرات ومنظمات حكومية وشعبية عسى أن تبعث الوحدة الإسلامية من جديد كقوة فاعلة تحمي الإسلام وأبناءه ودياره.

بروز خصائص للأمة الإسلامية تميزها عن غيرها من الأمم

والأمة وتاريخها، فإن الله تعالى خصها بجملة من الفضائل ميزها بها عن بقية الأمم منها ماجاء:

عن حذيفة بن اليمان قال «فضلت هذه الأمة على سائر الأمم بثلاث: جعلت لها الأرض طهوراً، ومسجداً وجعلت صفوفها على صفوف الملائكة»(١)، كما ميزها الله تعالى بعظيم الأجر على قليل العمل:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً، فقال: «من يعمل من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ألا فعملت

---

(١) الخصائص العامة للإسلام ١٥٥-١٥٦.

اليهود. ثم قال: من يعمل لي من نصف إلى صلاة العصر على قيراط قيراط إلا فعملت النصارى. ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم، فغضب اليهود والنصارى، قالوا: نحن كنا أكثر عملاً وأقل عطاء، قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإنما هو فضلي أوتيه من أشاء»[1].

كما أن الأمة المحمدية تجيء يوم القيامة بسيماء مميزة قال رسول الله ﷺ: (تردون عليّ غرا محجلين من الوضوء، سيماء أمتي ليس لأحد غيرها)[2] كما أن صلاة المسلمين لم يصلها غيرهم:

عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «اهتموا بهذه الصلاة فقد فضلتم بها على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم»[3].

ومن خصائص هذه الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة[4] وأن الله بارك لها في بكورها بدعاء رسول الله ﷺ[5] وأن طائفة منها تبقى ظاهرة على الحق متمسكة به إلى قيام الساعة[6].

ولئن كانت هذه الأمة آخر فإنها أكرمها على الله مصداقاً لقوله ﷺ «انكم وفيتم سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله»[7].

وبناء على هذا التكريم وهذه الفضائل فعلى الأمة أن تحفظ

---

(١) مسند أحمد ٥/ ٣٨٣.

(٢) مسند أحمد ٢/ ٦.

(٣) ابن ماجه- كتاب الزهد- باب صفة أمة محمد ﷺ ٢/ ١٤٣١.

(٤) مسند أحمد ٥/ ٢٣٧.

(٥) أبوداود- أول كتاب الفتن ١٧/ ١٥١-١٥٢- ابن ماجه- الفتن باب السواد الأعظم ٢/ ١٣٠٣.

(٦) عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم بارك لأمتي في بكورها، مسند أحمد ١٠/ ٥٤-٥٥.

(٧) عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله) البخاري العلم باب من يرد الله به خيراً ١/ ١٦٤ الخمس باب قول الله تعالى: فإن لله خمسة وللرسول ٦/ ٢١٧ مسند الشهاب ٢/ ٧٧.

خصائصها وسمتها ولا تذوب في غيرها بتقليدها والتشبه بها، ومن يفعل ذلك يكون قد خرج عن الإسلام، يقول الرسول ﷺ:

«ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود والنصارى»[1].

ويقول في حديث آخر:

«من تشبه بقوم صار منهم»[2].

---

(١) الدرامي - الرقاق - باب في قول النبي ﷺ: أنتم آخر الأمم ٢/ ٢٢١.

(٢) مسند الشهاب ٢/ ٢٠٥.

٣- دعائم الوحدة الإسلامية

لم تكن المؤاخاة قصراً على المهاجرين والأنصار، وإنما لأهليتها في الحفاظ على وحدة الأمة وكبت نوازع الشر أضحت مطلباً دينياً أكيداً لكل أجيال المسلمين في مختلف أعصارهم حتى يصدق ودهم وتعاونهم.

جاء في صحيح البخاري من حديث عبدالله بن عمران أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[١]. وجاء في رواية عند مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره- التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم)[٢]. وورد في رواية الترمذي من حديث أبي هريرة يرفعه: (المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله)[٣]. ذلك أن المسلمين يد واحدة على من سواهم[٤].

فالأخوة تفرض على المسلم ألا يظلم أخاه المسلم وألا يخذله وألا يسلمه للأعداء، وألا يحقره، وأن يكون أمة تسودها هذه الروابط الخيرة لن تخذل ولن يجد الشر إليها سبيلاً.

(١) مسند الشهاب ١/ ٢٤٤.
(٢) المظالم- باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ٥/ ٩٧ الترمذي- الحدود باب ماجاء في الستر على المسلم ٤/ ٣٤-٣٥ مسند الشهاب ١/ ١٣٣.
(٣) مسلم - البر والآداب والصلة- باب تحريم ظلم المسلم ٤/ ١٩٨٦- مسند أحمد ٢/ ٦٨.
(٤) الترمذي- البر والصلة - باب ماجاء في شفقة المسلم ٤/ ٣٢٥.

ذلك أن هذه الأخوة تورث المحبة الخالصة التي لا يصح الإيمان بدونها مصداقاً لقوله ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه»[1]، ويستنتج الكرماني من هذا الحديث: أن الايمان يفرض على المؤمن كذلك أن يبغض لأخيه مايبغض لنفسه من الشر، ويضيف قوله «ولم يذكره لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه فترك التنصيص عليه اكتفاء»[2].

وهذه المحبة والمودة تصبح معها الأمة كالجسد الواحد الذي يتأثر لأدنى ألم يصيب عضواً من أعضائه يقول الرسول ﷺ:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3]. (رواه مسلم)، وروى البخاري بسنده إلى أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال:

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً- ثم شبك أصابعه»[4].

---

(١) جاء عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ خطب يوم الفتح فقال: (المسلمون يد واحدة على من سواهم)- مسند الشهاب ١/ ١٣٣.

(٢) البخاري- الإيمان- باب من الإيمان أن يحب لأخيه ١/ ٥٧- مسلم- الإيمان- باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ١/ ٦٧- مسند الشهاب ٢/ ٦٣.

(٣) فتح الباري ١/ ٥٨.

(٤) البخاري- المظالم- باب نصر المظلوم ٥/ ٩٩- الأدب باب تعاون المؤمنين ١٠/ ٤٥٠- مسلم ١/ ١٩٩٩.

الرسول ﷺ ينهي المسلم عن ترويـع أخيـه المسلم

وقد وضع الرسول عليه الصلاة والسلام للوحدة الإسلامية جملة من الأخلاقيات العالية تحميها من التصدع وتضمن لها الدوام والاستمرار، من ذلك أنه حرم على المسلم أذى أخيه المسلم وترويعه، فقال: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»[١].

كما دعا إلى الذب عن عرض المسلم وحفظه من أن يكون نهب اللغو والتجريح، فقال عليه الصلاة والسلام: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»[٢]، وحذر في الوقت نفسه من تتبع عورات المسلمين والتجسس عليهم لإرهابهم فقال:

«لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم»[٣].

أما كذب المسلم على المسلم فقد اعتبره رسول الله ﷺ خيانة مشينة: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب»[٤].

ودعا الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين إلى تجنب كل ما من شأنه أن يثير الضغينة والحقد بين المسلمين أو يجرح مشاعرهم فقال: «لا يبيع بعضكم على بعض، ولا يخطب بعضكم على خطبة بعض»[٥].

---

(١) مسند أحمد ٥/ ٣٦٢- مسند الشهاب ٢/ ٥٩.
(٢) الترمذي- البر والصلة- باب ماجاء في الذب عن عرض المسلم ٤/ ٣٢٧.
(٣) رواه القضاعي من حديث أبي برزة- مسند الشهاب ٢/ ٨٤.
(٤) رواه القضاعي من حديث سفيان بن أسيد الحضرمي يرفعه- مسند الشهاب ١/ ٣٥٨.
(٥) الترمذي- البيوع- باب ماجاء في النهي عن البيع على بيع أخيه ٣/ ٥٨٧- الدارمي- النكاح- باب النهي عن خطبة الرجل على خطبة أخيه ٢/ ٦٠.

الرسول ﷺ يدعو المسلمين إلى التكافـــل والتضـــامن

ولن تكون الوحدة عملية وفعالة إلا إذا عم أبناءها لون من التكافل والتضامن، يشبع الجائع، ويكسو العاري، ويحمى العاجز، ويشيع الرضا داخل المجتمع المسلم، يقول النبي ﷺ:

«أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً على عري كساه الله من خضر الجنة»(١).

وما الزكاة والصدقات التي شرعها الإسلام إلا خدمة لهذا التكافل والتضامن حماية للأمة الإسلامية من الوقوع ضحية للفقر أو لابتزاز الكفار وعوناً لها على مواجهة الكوارث الطبيعية كالجفاف ونحوه.

الرسول ﷺ يوجب على المسلم ازجاء النصح لخاصـة المسـلمين وعامتهم

وليست الأمة في حاجة إلى شيء بعد صدق الإيمان حاجتها إلى اخلاص النصيحة فأوجب الإسلام على المسلم ازجاء النصح لأخيه المسلم حتى يبصره بالحق، ويعرفه بالصواب، ويحميه من الوقوع فيما لايرضي الله. روى البخاري بسنده إلى جرير بن عبدالله رضي الله عنه أنه

(١) مسند أحمد ٣/ ١٣- ١٤ - الترمذي- صفة القيامة- الباب ١٨- ٤/ ٦٣٣.

قال: «أتيت النبي ﷺ، فقلت: أبايعك على الإسلام، فشرط على والنصح لكل مسلم» فبايعته على هذا»[١].

ونظراً لأهمية النصيحة فإن الرسول ﷺ كاد يحصر الدين فيها فقال:

«الدين النصيحة ثلاث مرات، قالوا: يارسول الله لمن؟ قال: لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم رواه الترمذي وقال عنه: حسن صحيح[٢].

الرسول ﷺ يحرم التقاتل بين المسلمين

لقد حرم الإسلام التقاتل بين المسلمين لأنه ينقض وحدتهم، ويفسد عليهم حياتهم، ويضعف قوتهم ويجريء عليهم أعداءهم، وقد توعد الرسول ﷺ المقاتلين بالنار، فقال عليه الصلاة والسلام:

«إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار قيل: فهذا القاتل فمابال المقتول؟ قال: انه أراد قتل صاحبه»[٣]. وشدد عليه الصلاة والسلام في التحذير والوعيد حتى وصف المتقاتلين بالكفار، فقال في حجة الوداع «لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[٤].

والملاحظ أن هذا الوعيد لايدخل فيه حمل السلاح لنصرة الحق وقتل الباغين[٥].

---

(١) البخاري- الإيمان- باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ١/ ١٣٧.

(٢) كتاب البر والصلة- باب ماجاء في النصيحة ٤/ ٣٢٤.

(٣) البخاري- الفتن- باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما ١٣/ ٣١- الحدود- باب ظهر المؤمن حمى ١٢/ ٨٥- أحمد في مسنده ٤/ ٣٦٣.

(٤) أحمد في مسنده ٤/ ٣٦٣.

(٥) فتح الباري ١٣/ ٣٤.

٤ - المساواة

الرسول ﷺ يعلـن المسـاواة بين المسلمين في الحقوق والواجبات

ولكي يضمن الإسلام لوحدة المسلمين البقاء والصمود على الزمن قضى على الفوارق اللونية والجنسية واللغوية، تلك الفوارق التي تحمل في طياتها مخاطر الانفجار والتفتت، وأعلنها بدون مواربة: كلكم لآدم وآدم من تراب، والناس سواسية.

جاء في خطبة الوداع قوله ﷺ والمؤمنون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على ماسواهم[1].

وتتجلى هذه المساواة في أحكام الشريعة الغراء، فقد أديرت (على قطب المساواة. فلا فضل فيها لشريف على وضيع ولا امتياز لملك على سوقي، والعقوبة الموضوعة على صعلوك الأمة هي المحمولة على سيدها بدون فارقة، فلو ادعى أبوبكر الصديق، أو عمر بن الخطاب على أدنى الناس وأفسقهم درهماً واحداً لم يقض له باستحقاقه إلا بشهادة عادلة... ذلك أن الإسلام وضع جميع الامتيازات وطرحها عن محل العناية والاعتبار ماعدا التقوى، والتقوى نفسها لم يجعل الشارع لها أثراً في تغيير الحدود والاختصاص بحظ زائد من الحقوق[2].

(١) مصنف أبي بكر بن أبي شيبة- كتاب الديات- باب ان المسلمين تتكافأ دماؤهم ٩/ ٤٣٢- مسند أحمد ٢/ ٢١١.

(٢) الحرية في الإسلام- محمد الخضر حسين ٢٧-٢٨.

وقد عاش الصحابة هذه المساواة فما كان الواحد منهم يشعر بأن له امتيازاً على أخيه مهما علا شأنه، وهذا أبوبكر الصديق يخطب المسلمين اثر مبايعته بالخلافة: (أما بعد أيها الناس فإنني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وان أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم»[1].

وهذا عمر الخليفة الراشد الذي يعتلي أرقى المناصب في الإسلام يعلنها على رؤوس الملأ (ان كان بيني وبين أحد منكم شيء من أحكامكم أن أمشي معه إلى من أحبه فينظر فيما بيني وبينه)[2]. فهو لا يرى غضاضة في أن يجلس أمام القاضي جنباً إلى جنب مع من يزعم أنه خصمه ليحكم بينهما بما أراه الله.

وقد طبق عمر الفاروق هذه العدالة والمساواة مع جبلة بن الأيهم الملك الغساني الذي لطم اعرابياً فدعاه للقصاص، وحين امتعض جبلة من ذلك وأظهر استغرابه ودهشته قال عمر: لقد سوى بينكما في الإسلام[3].

كما دعا عمر الفاروق عمرو بن العاص واليه على مصر ليحاسبه حيث ادعى أحد الأقباط أنه ظلمه، وقال عمر بن الخطاب قولته الشهيرة: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً[4].

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٢٨.
(٢) الحرية في الإسلام ٢٩.
(٣) انظر إسلام جبلة بن الأيهم الغساني وارتداده ولجوءه إلى القسطنطينية في المصباح المضيء ٢/ ٢٤٢-٢٥٣.
(٤) الخصائص العامة للإسلام ٩٨.

٥- لاعصبية في الإسلام
الرسول ﷺ يحارب العصبية ويقول: دعوها فإنها منتنة

ليس ثمة أخطر على وحدة الأمة من العصبية، فمتى تأججت نيرانها في النفوس أعمتها وسدت عليها من منافذ الحكمة فأهلكت الحرث والنسل ولذلك حاربها الإسلام بكل قوة واتخذ من مقاومتها قربة يتقرب بها إلى الله.

وان طبيعة الإسلام الرحبة التي وسعت البشرية بمختلف أجناسها وألوانها وألسنتها وأوطانها وأجيالها، لتتنافى كلية مع العصبية الضيقة المحدودة، ومن هنا كانت الدعوة إلى العصبية خروجاً عن الإسلام وكفراناً بوحدانيته: عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية»[١].

وحذر عليه الصلاة والسلام من فعل الجاهلين من التفاخر بالأنساب فقال: «إن الله قد أذهب عنكم عبية[٢] الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان[٣] التي تدفع بأنفها النتن»[٤].

---

(١) أبوداود- الأدب باب في العصبية ٢٠/ ٦١.
(٢) بضم العين المهملة وكسر الموحدة المشددة وفتح المثناة التحتانية المشددة: وهي الكبر والنخوة.
(٣) جمع جعل: دويبة سوداء تدير الخراءة بأنفها (بذل المجهود ٢٠/ ٥٧-٥٨).
(٤) أبوداود- باب في التفاخر بالاحساب ٢٠/ ٥٧.

ونادى رسول الله ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرناً: «من قاتل تحت راية حمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية[1] إلا أن المنافقين مرضى القلوب، بتحريض من اليهود أعداء الإنسانية، كان يغيظهم مايرون عليه المسلمين من الوحدة والاخاء، فكانوا يتصيدون الفرص ليصدعوا تلك الوحدة وينقضوا نظامها بمحاولة اشعال نار العصبية وإشاعة الأكاذيب[2] وتحريك النعرات الجاهلية إلا أن الرسول عليه الصلاة والسلام سريعاً مايقف على دسائسهم فيطفيء نار الفتنة في مهدها، من ذلك مثلاً أنه وقع في غزوة بني المصطلق[3]- وفي أثناء اجتماع الناس حول ماء- أن (كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري ياللأنصار! وقال المهاجري: ياللمهاجرين! وسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: مابال دعوى جاهلية!؟ قالوا يارسول الله! كسع[4] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: دعوها، فإنها منتنة. فسمع بذلك عبدالله بن أبي بن سلول- رأس المنافقين في المدينة- فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل[5].

وجاء في سيرة ابن اسحاق: قال عبدالله بن أبي بن سلول أو قد فعلوها؟! نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله مامثلنا وجلابيب[6] قريش إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك[7]

---

(١) مسلم- الامارة- باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ٣/ ١٤٧٦- ١٤٧٧.
(٢) كبهتان الافك.
(٣) وقعت في شعبان سنة ست للهجرة.
(٤) المشهور في الكسع: ضرب الدبر باليد أو بالرجل.
(٥) البخاري- التفسير- باب قوله سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر ٨/ ٦٤٨.
(٦) لفظ أطلقته قريش على المهاجرين.
(٧) سيرة ابن هشام ٣/ ١٨٣.

وأراد عمر رضي الله عنه أن يسكت هذا الصوت الحاقد على الإسلام والمسلمين إلى الأبد فقال: يارسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: دعه لايتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

وبلغ عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول ماقاله أبوه فاستاء وأمسك بأبيه وقال له: (والله لا تنلفت [أي لا ترجع] حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز)[1] ففعل.

وفي رواية عند الطبري أن عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول قال النبي ﷺ: «إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، قال: لا تقتل أباك»[2].

لقد انتصرت في نفس الابن المؤمن رحم الإيمان والإسلام على رحم الدم والنسب، فوقف هذا الموقف البطولي ينفح عن دينه ويدفع عن وحدة أمته حقد النفاق وسموم العصبية.

وقد سار الخلفاء الراشدون على منهج الرسول ﷺ يحاربون العصبية، ويكتمون أنفاسها الكريهة النتنة كلما حاولت أن تتسلل إلى مجتمع الإسلام الطاهر. فكان موقف المقاومة التي لا هوادة فيها من أبي بكر الصديق للردة التي تعتبر انبعاثاً للعصبية على ملحظ الشيخ أبي زهرة طيب الله ثراه-، فالمرتدون هم أولئك الذين لم يتمكن الإسلام من قلوبهم فقالوا: (نرضى بالصلاة ولا نعطي الزكاة)، والذين لم تتطهر نفوسهم من رجس العصبية الجاهلية حتى قال قائلهم: (كاذب ربيعة خير من صادق مضر)[3].

---

(١) الترمذي- التفسير- باب ومن سورة المنافقين ٥/ ٤١٧ الحديث رقم ٣٣١٥- مسلم- البر والصلة- باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ٤/ ١٩٩٨.
(٢) فتح الباري ٨/ ٦٥٠.
(٣) الوحدة الإسلامية- الشيخ أبوزهرة ١١٤.

ولم تهدأ نفس أبي بكر حتى طهر أوكار الردة ومعاقل العصبية الجاهلية وبذلك حفظ للمسلمين وحدتهم ودينهم.

وواصل عمر السير على نفس الدرب الرشيد، فكان يأمر قضاته وولاته أن يعاقبوا من ينادي بالعصبية الجاهلية حسماً لكل بذور الفساد، فمما جاء في كتابه لأبي موسى الأشعري (... وإذا كانت بين القبائل ثائرة (عداوة).. وتداعوا: يا آل فلان، فإنما ذلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله وإلى الامام)[1].

وقد وضع علماء الإسلام عقوبة رادعة لدعاة العصبية حفاظاً على وحدة الأمة وقمعاً لنوازع الشر، وللفقهاء في ذلك ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداء بأبي موسى الأشعري في جلده النابغة الجعدي خمسين سوطاً حين سمع يالعامر، فأقبل يشتد بعصبة له.

الثانـــي: أن فيها الجلد دون العشرة لنهيه عليه الصلاة والسلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا في حد.

الثالث: اجتهاد الامام في ذلك على حسب مايراه من سد الذريعة واغلاق باب الشر اما بالوعيد، واما بالسجن، واما بالجلد[2].

وهنا قد يسأل سائل: هل يعد حب الأوطان والأهل والدفاع عنهم من العصبية؟

وقد أجاب الرسول الكريم ﷺ عن هذا حين سأله واثلة بن الأسقع (يارسول الله ما العصبية؟ قال: أن تعين قومك على الظلم)[3]، أما

---

(١) الوحدة الإسلامية- الشيخ أبوزهرة ١٢٥.
(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ١٨٣ هامش رقم١.
(٣) أبوداود- الأدب- باب في العصبية ٢٠/ ٥٩.

حب الوطن والتعلق بالأهل ومساعدتهم على رفع ما قد ينالهم من ضيم أو ظلم، فهذا لا ضير فيه بل هو مطلوب. (عن سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «خيركم المدافع عن عشيرته مالم يأثم»[١].

ويشرح الشيخ خليل أحمد السهانفوري المراد بالعبارة (ما لم يأثم) بقوله: (أي في المدافعة بأن يكون أقاربه مثلاً على ظلم)[٢].

لا حلف في الإسلام:

وتساوقاً مع محاربة العصبية وحماية للوحدة الإسلامية فقد منع الإسلام عقد الأحلاف التي تقسم المسلمين إلى فئات وأحزاب، فقال الرسول ﷺ: «لا عقد في الإسلام»[٣]، وقد فسر سفيان الثوري العقد الوارد في هذا الحديث بأنه الحلف.

والملاحظ أن الإسلام لا يمنع من عقد أحلاف تخدم المبدأ الإسلامي، وتحفظ وحدة المسلمين، بل فإنه يقر حتى تلك الأحلاف التي عقدت في العهد الجاهلي والتي توافق المباديء الإسلامية كحلف الفضول وهو المراد بحديث قيس بن عاصم عن رسول الله ﷺ قال (لا حلف في الإسلام، وماكان في الجاهلية فتمسكوا به)[٤].

---

(١) نفس المصدر السابق ٢٠/ ٦٠.

(٢) بذل المجهول ٢٠/ ٦٠.

(٣) رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أنس رضي الله عنه ٢/ ٤٠ - كما رواه أبونعيم في الحلية ٧/ ١١٨.

(٤) مسند أحمد ٥/ ٦١، مسند الشهاب ٢/ ٤٠.

٦- الموالاة
لا موادة ولا موالاة لغير المسلمين

وإذا منع الإسلام الأحلاف المشبوهة حفظاً لوحدة المسلمين فإنه منع كل موادة، وكل موالاة للكافرين حتى وان كانوا آباء واخواناً ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الإيمان، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون**﴾ (التوبة ٢٣)- وقال تعالى: ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة، ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير**﴾ (ال عمران ٢٨)- وحذر الله المسلمين من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء: ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾(المائدة ٥١)، وهذه أربعة عشر قرناً من تاريخ المسلمين تشهد على أن اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، وما تبرئة الكنيسة لليهود من دم المسيح، وما هذا التأييد المادي والسياسي الذي لا حدود له من الدول المسيحية للعدوان الصهيوني إلا دليل على ذلك، وعليه فأي تعاطف أو تعاون فضلاً عن الموالاة والتحالف مع اليهود والنصارى وكافة الكفار يعد خروجاً عن الإسلام وظلماً لهذه الأمة يعرضها للذلة والضياع.

وقديماً وفي عهد الرسالة الشريفة استجاب الصحابة رضوان الله عليهم لنداء القرآن فكانوا مثال الالتزام بأوامر الشرع فمن الله عليهم بالعز والنصر:

فهذه أم حبيبة زوج النبي ﷺ لا توالي أباها أقرب الخلق إليها لشركه وتمنعه حتى الجلوس على فراش النبي ﷺ فيقول لها أبوها في مكر ودهاء يابنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ فتجيبه بلامواربة وقد انحازت إلى صف الايمان ضد الكفر: (بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ)[1].

لقد انتصرت في نفسها رحم الايمان والإسلام على رحم النسب وهو موقف شريف سام سبق أن رأينا مثله من عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول حين ألزم أباه المنافق أن يعلن على رؤوس الملأ أنه هو الذليل وأن رسول الله ﷺ هو العزيز، تأديباً لوالده على ماأراد أن يشيعه من فتنة العصبية وتشتيت شمل المسلمين.

وقد فضح الكتاب العزيز العلة الواهية التي يتعلق بها ضعاف الإيمان من المسلمين الذين يهيمون بحب الكافرين ويرهبون سطوتهم ويتوددون إليهم طلباً للحماية المزعومة والعزة الموهومة فقال عز من قائل: **﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغوا عندهم العزة، فإن العزة لله جميعاً﴾**(النساء: ١٣٩).

فولاء المؤمن ومودته ينبغي أن يمحضها للإسلام والمسلمين دون الكافرين لأنهما لايسعان حقاً وباطلاً.

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٧.

٧- وجوب لزوم الجماعة

وبناء على أن الجماعة الإسلامية تعد ركن الإسلام المتين وعنوان وحدة المسلمين فهي التي تحمي عقيدة التوحيد وتصون حوزة المسلمين وتقيم الشرع الحكيم، وتبت الشرك، وتدحر الكفر والإلحاد، وتقمع القوانين الوضعية التي ماأنزل الله بها من سلطان، بناء على هذا وغيره فإنّ الإسلام جعل للجماعة حرمة لا يجوز هتكها وقدسية لا يحل العدوان عليها.

ومن استهتر بحرمة الجماعة وخرج عليها ببدعة أو بغي ونحوهما ارتطم في حفرة الكفر: روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: انه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية[١].

وجاء في حديث أبي ذر- رواه أبوداود- مرفوعاً: (من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[٢].

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية[٣]. . . «ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه» وقد ترجم الامام النووي للباب الذي أخرج فيه مسلم هذا الحديث بقوله: «باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم

(١) البخاري- الفتن - باب قول النبي ﷺ: سترون بعدي أموراً تنكرونها ١٣/ ٥.
(٢) جامع الأصول ١/ ١٩٨- مسند الشهاب ١/ ٢٧٦.
(٣) مثله حديث ابن عمر في مسند أحمد ٢/ ٧٠.

الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة»[1].

وحين سأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه رسول الله ﷺ: ما العمل إذا انتشرت الفتن؟ أوصاه بقوله: «تلزم جماعة المسلمين وامامهم»[2] وقد استنبط ابن بطال من هذا الحديث الحجة «لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور»، أما الطبري فيرى أن المراد بالخبر: «لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة»[3].

وهنا قد يسأل سائل: هل يلزم المسلمون بالرضا بالحاكم الظالم وبعدم الخروج عليه لما ورد من النهي عن ذلك؟

وقد أجاب الرسول ﷺ عن هذا السؤال فقال «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، الا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[4].

وإذا كان الحاكم ظالماً جائراً يأتي ما يخالف الشرع من تعطيل لأحكام الله وابدالها بأحكام وضعية يزعم أنها أصلح لأهل هذا الزمان وأوفق للعصر!! أو ابطال لركن من أركان الإسلام، أو تحقير لأصل من أصول الشريعة أو ممالأة لأهل الصليب والالحاد والسعي لتقليدهم مع ابطال شعار الإسلام واضعاف لغته وابدالها بلغة أجنبية بدعوى اللحاق بركب الحضارة والتقدم وكأن الحضارة والتقدم لا يحصلان إلا بالدوس على المقدسات وبتغريب ألسنة الناس وعقولهم وعاداتهم!!؟

---

(١) مسلم- الامارة- ٣/ ١٤٧٦-١٤٧٧.
(٢) البخاري- الفتن- باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ١٣/ ٣٥.
(٣) فتح الباري ١٣/ ٣٧.
(٤) مسلم- الامارة- باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية- متن شرح النووي ١٢/ ٢٢٩.

فالواجب في هذه الحالة أن يكلم هذا الحاكم ويمنع من ارتكاب هذا الجور في حق الإسلام والمسلمين، فإن رجع إلى الحق وأذعن لأحكام الشرع فلا سبيل إلى خلعة ويبقى أماماً كما كان، أماان امتنع وأصر على الاثم مهما افتجر من تعلات فيجب خلعه[1] مع تجنب الفتنة بقدر المستطاع لأن الفتن لن تأتي بخير.

من أراد تفريق جماعة المسلمين فاقتلوه

أما من خرج على اجماع الأمة يريد تفريق جمعها وتشتيت وحدتها فيجب منعه وان لزم قتله عملاً بقوله ﷺ «من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان»[2].

امام واحد لأمة واحدة

ولكي تتحقق وحدة الأمة وتجتمع كلمتها ينبغي أن تخضع لقيادة عليا واحدة تحفظ للأمة قوتها وهيبتها وتقيم شرع الله وتوجه مسارها نحو العزة التي يريدها الله ورسوله للمؤمنين.

ومن هذا المنظور رأى ابن حزم وجوب اقامة امام واحد لعامة المسلمين وقال: «انه مجمع عليه» ويعلق الشيخ أبوزهرة على هذا بقوله:

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ١٧٥- ١٧٦.

(٢) مسلم- الامارة- باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ٣/ ١٤٧٩- أحمد في مسنده ٤/ ٢٦١- ٥/ ٢٤.

«وهو معقول المعنى لكي تتحقق الوحدة الإسلامية في الحكم»[1]، ويضيف: «ونحن مع جمهور الفقهاء والمحدثين في أنه لا يصح اقامة امامين في عصر واحد، لأن الخلافة جامعة للوحدة الإسلامية، ولا يمكن أن تكون جامعة وثمت امامان»[2].

فإذا بويع الامام «ثم قام آخر ينازعه ولو بطرفه عين بعده فالحق حق الأول، وسواء كان الثاني أفضل منه أو مثله أو دونه لقول رسول الله ﷺ: «فو بيعة الأول، فالأول، ومن جاء ينازعه فاضربوا عنقه كائناً من كان»[3]. وقد صح كذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال «من بايع اماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»[4]. رواه مسلم، وقد ترجم الامام النووي لهذا الحديث بقوله: باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول. ثم شرح الحديث فقال: «ومعنى هذا الحديث: إذا بويع لخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني باطلة، ويحرم الوفاء بها، ويحرم عليه طلبها وسواء عقدوا للثاني جاهلين وسواء كانوا في بلدين أو بلد [واحد]»[5].

وإذا وجد المسلمون أنفسهم في موقف الاختيار بين امامين أحدهما قوي يمكنه جمع أمر المسلمين والمضي بهم في الجهاد في سبيل الله إلا أن له

(١) الوحدة الإسلامية لأبي زهرة ١٤٥.
(٢) المصدر السابق ١٤٧.
(٣) الفصل ٤/ ١٧٠.
(٤) مسلم- الامارة- متن شرح النووي ١٢/ ٢٣٣. أبوداود أول كتاب الفتن ١٧/ ١٤٥ وجاء في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بويع الخليفتان فاقتلوا الآخر منهما» ١/ ٤٤٧.
(٥) شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢٣١.

ذنوباً وأوزاراً شخصية. والثاني تقي إلا أنه ضعيف لا يستطيع حمل الناس على جادة الجهاد، فعليهم أن يختاروا القوي الموزور لأن فسقه- على ملحظ الامام أحمد- على نفسه، وقوته للمسلمين بينما الضعيف تقواه لنفسه وضعفه على المسلمين(١)، والمعلوم «أن الغرض من الامامة حسن السياسة والقوة على القيام بالأمور»(٢).

(١) الوحدة الإسلامية لأبي زهرة- ١٥٥.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ١٧١.

الفصل الثاني :

الأسرة المسلمة دعامة أساسية لقيـام الوحـدة الإسـلامية

ويتضمن :

١ - مفهوم الأسرة .
٢ - الزواج في الإسلام .
٣ - بناء وحدة المجتمع .
٤ - أمتكم أمة واحدة .

بقلم الدكتور
عبدالله الكامل الكتاني

تمهيـــــد

تمثل الأسرة الخلية الأصلية من خلاليا المجتمع الإنساني التي وكّل الإسلام لها دوراً رئيسياً في رعاية وحدة المسلمين، فكراً وعقيدة، خُلُقاً وممارسة.

ويهدف البحث إلى بيان دور الأسرة المسلمة في بناء وحدة المجتمع الإسلامي، والحفاظ على كيانه الروحي والفكري، وتثبيت مقوماته الدينية والاجتماعية، وتوريث قيمه الإنسانية والحضارية للأجيال، خلفاً عن سلف، أبا عن جد، ولداً عن والد.

* **﴿وأوصى بها ابراهيم بنيه، ويعقوب: يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾**[1].

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة أبيكم ابراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا، ليكون الرسول شهيداً عليكم، وتكونوا شهداء على الناس، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، واعتصموا بالله. هو مولاكم فنعم المولى، ونعم النصير﴾[2].

﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، والذي أوحينا إليك، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه﴾[3].

---

* جميع الآيات القرآنية الواردة في البحث هي على رواية الامام ورش، المنتشرة في المغرب.

(١) الآية ١٣٢ من سورة البقرة، وهي سورة مدنية وتقرأ الآية في المشرق برواية حفص: (ووصى بها ابراهيم بنيه...) بدلاً من (وأوصى) برواية ورش.

(٢) الآية ٧٨ من سورة الحج، وهي سورة مدنية.

(٣) الآية ١٣ من سورة الشورى، وهي سورة مكية.

إن الوحدة الفكرية والروحية، ووحدة المقومات الدينية والاجتماعية، وكذا وحدة مجموع القيم الإنسانية والحضارية لكل مجتمع إسلامي، إنما تستمد أصولها، وتتلمس توجيهاتها، وتقتبس معالمها من الإسلام.

﴿ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه﴾[1].

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[2].

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾[3].

﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾[4].

(١) الآية ١٣٠ من سورة البقرة، وهي سورة مدنية.
(٢) الآية ١٨ من سورة آل عمران، وهي سورة مدنية.
(٣) الآية ٨٥ من سورة آل عمران، وهي سورة مدنية.
(٤) الآية ١٢٥ من سورة الأنعام، وهي سورة مكية.

١ - مفهــوم الأسرة؟

المفهوم اللغوي :

تعرف كتب اللغة[١] أسرة الرجل (بأنهم رهطه الذين يتقوى بهم) .

ورهط الرجل : (أهله، وقومه، وقبيلته، وعشيرته) وتقدر عدة الرهط عادة، بما فوق الثلاثة، ومادون العشرة، وتضيف بأن أصل الأسر هو الشد بالقيد، ومنه يقال أسر الرجل إذا أوثق بالقيد وهو الاسار.

ويعرف الناس جميعاً بالبداهة أن الأسرة تتكون من والدين هما المرء وزوجه، ومن أولادهم وذوي قرباهم: من جدين وجدتين وأعمام وعمات وأخوال وخالات وأبنائهم جميعاً.

وعلى هذا، فإن الأسرة هي هذا المجتمع الذي يوكل إليه أمر التقيد بالأعراف الاجتماعية، والتزام العادات والتقاليد الحضارية، واتباع القيم الدينية، والأخلاقية، ونقل مفهوماتها السامية نقية صافية إلى الأجيال المتعاقبة عبر العصور.

(١) تنظر في هذا الصدد بخاصة الكتب اللغوية التالية :
- مختار الصحاح للرازي .
- أساس البلاغة للزمخشري .
- المعجم الوسيط للجنة من العلماء المنتمين لمجمع اللغة العربية في القاهرة .

المفهوم الإسلامي :

ولأمر مالم يرد لفظ (الأسرة) بهذا الاستعمال في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية المطهرة، إلا أننا نجد المفهوم متداولاً فيهما بألفاظ أخرى، لعلها تكون هي المفاتيح الموفقة للبحث الطريف في محاور الموضوع المطروق، والمناهج المعجزة المفيدة في فتح كنوزه، واثراء جوانبه إثراءً يزيدها الاستقراء والتحليل إشراقاً وعمقاً، كلما ازداد المرء فيها امعاناً وفكراً.

يبين القرآن الكريم للناس في الآيات الأولى من سورة النساء ان المجتمع الإنساني، بعشائره، وقبائله، وأقوامه، وأممه وشعوبه، ذو أصل واحد، ومنشأ واحد، عنه يصدرون ومن وحدته (يتفرقون) منبثين في أطراف الأرض، رجالاً كثيراً ونساء. يجمعهم جامع التقوى عن طريق الإيمان بالله، كما تجمع بينهم آصرة الرحم.

﴿ياأيها الناس أتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تتسآءلون به والأرحام. إن الله كان عليكم رقيباً﴾[1].

فلعل الناس بعامة، والمسلمين منهم بخاصة، يحنون إلى (وحدة) المنشأ، ويرجعون إلى أصل الخلق، إذا ماتشعبت بهم الأحوال، وتشابهت عليهم الطرق.

---

(١) الآية الأولى من سورة النساء، وهي سورة مدنية وتقرأ كلمة (تتسآءلون) في المشرق برواية حفص: (تسآءلون).

﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير﴾[1] .

التعارف: غير التناكر، التعارف: تعايش وتكامل. التعارف: سبيل إلى الوحدة، ورجوع إلى الأصل وميل إلى الحس الخلقي الكريم، والتزام بالوازع الديني القويم، واختبار للتقوى الجامعة .

﴿فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ .

من أجل ذلك، حرص الإسلام الحرص كله على صيانة هذه الرابطة الإنسانية من عبث العابثين، نواة أولية لكل الوحدات، بذرة طيبة منها يتكاثر الخير والإيمان، والصلاح، خلية وطنية منها يتناسل التعارف والتوادد بين الناس على تقوى من الله ورضوان .

الـــزواج فـــي الإســـلام :

الزواج في الإسلام رابطة مقدسة من روابط وحدة المجتمع الإسلامي .

وقد أحكم الإسلام صياغة نظام الأسرة المسلمة أحسن احكام شرعي وأدقه، وأتقن تشريعاتها خير اتقان وأكمله، وتوج ذلك كله بنظام (الزواج) علاقة شرعية مقدسة، وآية من آيات الله المحكمة لقوم يتفكرون .

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[2] .

---

(١) الآية ١٣ من سورة الحجرات، وهي سورة مدنية .
(٢) الآية ٢١ من سورة الروم، وهي سورة مكية .

إن من آيات الله للناس هذه الرابطة الربانية المجتمعية، التي تجمع المرء بزوجه، سكناً كل منهما لصاحبه، ومودة ورحمة، سكناً يتساكنان فيه، ومودة يتوادان بها، ورحمة يتراحمان بها: فلا مفرق لما جمع الله منذ الأزل، ولامشتت لما وحد الله منذ الخلق الأول.

لهذا فصل الله سبحانه وتعالى أحكام الأسرة في كتابه العزيز فروعاً وأصولاً، وتولت السنة المطهرة بيان نظمها وتأصيل مقاصدها في نفوس المسلمين، فلا يملك الذين يخالفون عن أوامرها المقدسة لها تبديلاً ولا تحويلاً.

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[1].

وأنه لمن حسن طالع المسلمين في هذا العصر، وفي كل عصر، أن تبقى هذه الرابطة لدى عامة الناس وخاصتهم أمراً إسلامياً مؤكداً، وشرعاً دينياً مخلداً، وخلقاً حضارياً ممجداً، على الدوام والاستمرار.

وانه لبشير خير، وطالع يسر أن تسلم هذه المؤسسة، وهي أم المؤسسات، من عاديات الزمان وسوءات التطور، لتتدعم بسلامتها بقية المؤسسات الإسلامية الأخرى وتتقوى.

وحريّ بالشباب الإسلامي، في مشارق الأرض ومغاربها، أن يعقل هذا المقصد النبيل، ويتبناه، وينشره في الآفاق العلمية والاجتماعية، الخاصة منها والعامة، ويتعامل مع النصوص الإسلامية المنظمة لقضايا الأسرة تعامل صدق وايمان، انه ان فعل ذلك فتحت له النصوص القرآنية كنوز خفاياها، وألهمته بتقواها علماً ويقيناً، وفتحاً مبيناً، لعلّ الله تعالى ينفعه به وأمته ووطنه والناس أجمعين.

---

(١) الآية ٦٣ من سورة النور، وهي سورة مدنية.

٣- بناء وحدة المجتمع

حفاظاً على كيان الأسرة المسلمة في شخص الوالدين وبياناً للدور العظيم المناط بهما تجاه الأجيال، قرن المولى الكريم أمر وحدانيته تعالى، وعدم الاشراك به سبحانه، مباشرة، في الكتاب العزيز، بالاحسان إلى الوالدين وذوي القربى.

﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين احسانا، وبذي القربى﴾[١].

وجعل النبي ﷺ (الجنة تحت أقدام الأمهات)[٢].

لقد رفع الإسلام من قيمة الركيزتين الأساسيتين اللتين تقوم عليهما الأسرة المسلمة (وهما الوالدان)، ليكونا أهلا لبناء وحدة المجتمع الإسلامي، والحفاظ على كيانه الروحي والفكري، وتثبيت مقوماته الدينية والاجتماعية، وتوريث قيمه الإنسانية والحضارية للأجيال، وتبليغها للناشئة خير بلاغ، وعرضها عليهم أحسن عرض وأبقاه على الزمان، تربية وتنشئة، خلقاً وممارسة، علماً وعملاً. قال الله تعالى في سورة الطور: **﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء، كل أمريء بما كسب رهين﴾**[٣].

---

(١) الآية ٣٦ من سورة النساء، وهي سورة مدنية.

(٢) انظر الجامع الصغير للحافظ السيوطي ص٤٩٥ رقم ٣٦٤٢ رواه أحمد والنسائي وابن ماجه.

(٣) الآية ٢١ من سورة الطور، وهي سورة مكية وتقرأ كلمة ذرياتهم في المشرق برواية حفص (ذريتهم) ألته ماله وحقه، كضرب: يألته أي نقصه. ما ألتناهم من عملهم: مانقصناهم تنظر ص٤٥ (معجم ألفاظ القرآن الكريم) المجلد الأول الطبعة الثانية الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

في مسلسل إيماني لا انقطاع فيه، وفي تواصل قدسي لا توقف معه وفي استمرار حضاري يمتد أثره الحميد عبر الأجيال، ليعمل عمله الدائم في حياة الأفراد وحياة الجماعات.

وإذ يكل الإسلام الحنيف أمر هذه الرسالة العظيمة إلى الوالدين بصفة خاصة وإلى (الأسرة) بصفة عامة، فإنه يفعل ذلك تثبيتاً لمكانتها في المجتمع وتعظيماً لشأنها، وتركيزاً لسلطتها فوق السلطات عند غياب بقية السلطات، اعتماداً على مكانتها الرئيسية في تكوين المجتمعات، وتحميلاً لها لواجب تلقي أمانة السماء وشرف تبليغ الرسالة إلى الأجيال.

يقضي واجب تلقي الأمانة على الأسرة النظر في القرآن الكريم، وتأمل آياته المعجزات، وفهم مقاصد الشريعة الغراء، لكي تتمكن من شرف التبليغ، بالحكمة والموعظة الحسنة، عن طريق التربية والتعليم، والتوعية والتأصيل، ولكي تتحمل الأجيال الرسالة، وتتصدى لتبليغ الأمانة، في دورية وتوال واتصال: ﴿**ذرية بعضها من بعض**﴾[1] ﴿**فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر**﴾[2] في إيمان وصمود، وصدق ويقين.

---

(١) الآية ٣٤ من سورة آل عمران، وهي سورة مكية.
(٢) الآية ٢٣ من سورة الأحزاب، وهي سورة مدنية.

٤ - يدعو الأجيال إلى وحدة الأمة

وإذ تلتقي الأجيال على محبة القرآن الكريم وتعظيم شأنه، والاحتكام إلى حكمه، تتعلم من بين ماتتعلمه فيه من خير، أن تحتذي النماذج القرآنية وتتخذها قدوة واماما، تستلهم الأسرة المسلمة في أعماقها اعجاز آي القرآن الكريم، وصوره الخالدة المتجددة عبر العصور، تأمر الأجيال بعبادة الله، كما تأمرهم بالتقوى مؤكدة في كل حال على وحدة (أمتكم) أمة الإسلام.

فقد جاء في القرآن المبين في سورة (المؤمنون): ﴿**وأن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاتقون**﴾[1] ولا تملك الأجيال، مع هذا التأكيد القرآني الا السمع والطاعة والعمل الصادق على تحقيق أمر الله.

وجاء في سورة (الأنبياء) ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾[2] يلحظ في كلتا الآيتين هذا الاستعمال البليغ لكلمة الأمة التي جردت عن التعريف المعهود في غالبية الاستعمالات (ال)، واختير تعريفها (بكم) ياشباب الإسلام، فلتكونوا أهلاً لهذا التعريف والتشريف!.

---

(١) الآية ٥٢ من سورة المؤمنون، وهي سورة مكية وتقرأ كلمة وأن (في المشرق برواية حفص بكسر الهمزة هكذا (وإنَّ).

(٢) الآية ٩٢ من سورة الأنبياء، وهي سورة مكية.

من أخوة الدم والعصبية إلى أخوة الإيمان بالله

تقرأ الأسرة المسلمة هذه الآيات القرآنية، وتحفظها وترددها في إيمان وخشوع، وعزم على تحقيق اعجازها، وفهم مقاصدها، وفاء بواجب تلقي الأمانة، وقياساً بشرف تبليغ الرسالة إلى الأمة الإسلامية وإلى الإنسانية جمعاء.

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء، فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته اخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾[1].

وغير بعيد عن ذاكرتنا، حاضرة في خلدنا تلكم الصور الإنسانية الخالدة التي آخى فيها النبي عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار، اخوة في الله حلت محل أخوة الدم والعصبية والقبيلة والعشائرية، لتحل محلها أخوة العقيدة والفكر والإيمان.

وبذلك شيد الإسلام صرحاً آخر من صروح الوحدة الإسلامية في التآزر والتناصر، والتوادد، متسامياً بآصرة الأخوة والبنوة والنسب، متعالياً بها إلى رابطة التدين والأخوة في الله: **﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾**[2]، **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾**[3].

---

(١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران، وهي سورة مدنية.
(٢) الآية ٦١ من سورة الصافات، وهي سورة مكية.
(٣) الآية ٢٦ من سورة المطففين، وهي سورة مكية.

نماذج قرآنية للأسرة المسلمة:

القرآن الكريم كله نموذج ناطق لما ينبغي أن يكون عليه المسلم الحق فيما بينه وبين نفسه، وفيما بينه وبين أسرته وفيما بينه وبين أمته، مثلاً للخير يحتذى، وأسوة حسنة للصلاح تقتدى، وخير داعية إلى التماسك والتآلف والوحدة والاعتصام بحبل الله، اختار من هذه النماذج الرائعة، وكل القرآن الكريم روعة وجلال وسماء وبهاء، نموذجاً مستخلصاً من قول الله تعالى في سورة البقرة: **﴿وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال: إني جاعلك للناس اماماً، قال: ومن ذريتي. قال: لاينال عهدي الظالمين﴾**[1].

هذه الامامة على الناس، يعطاها ابراهيم عليه السلام من ربه عز وجل، فتهفو نفسه الكبيرة إلى أن يطلب (الامامة) من ربه لذريته محبة منه فيها، وتعظيماً لقدرها وتكريماً.

(١) الآية ١٢٤ من سورة البقرة، وهي سورة مدنية.

٥- الامامة

(الامامة): دعــوة إلــى الوحدة الدينية، والسياســية والاجتماعية

لقد قيل: (إن ابراهيم عليه السلام سأل ربه أن تكون في ذريته (الامامة) بأنواعها من (رسالة) و(ملك) و(قدوة)[1].

وإذا فهو ﷺ قد سأل ربه لذريته من خيري الدنيا والآخرة: دينا قيما، وسياسة قويمة، ومجتمعاً صالحاً.

كما قيل: ان أقل أنواع الامامة كون الرجل الكامل قدوة لبنية وأهل بيته، وتلاميذه[2]. وانطلاقاً من ذلك يمكن للشباب المسلم أن يطمع في أن يكون قدوة حسنة لذريته ولأمته، وللناس أجمعين، **﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾**[3].

ان الطموح إلى (الامامة) غريزة طبيعية جبل عليها الإنسان منذ كان، يحبها لنفسه، ويطلبها لذريته، ولكن شروطها: العدل والإحسان، ومجانبة الظلم، إذ لا ينال عهد الله وميثاقه الظالمين.

الامامة عهد الله وميثاقه، وعهد الله وميثاقه لا يؤتاها الظالمون فإذا مضى المرء على هذا النحو من التفكير متدرجاً فيه من القدوة الصالحة في الأهل والمجتمع والأمة إلى (الملك) السياسي مروراً (بالرسالة) الدينية، واضعاً ذلك كله في اطار مسلسله الروحي والفكري، وجد نفسه متملكاً

---

(١) (٢) (تفسير التحرير والتنوير، تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الجزء الأول ص ٧٠٣-٧٠٤- الدار التونسية للنشر- تونس ١٩٨٤م.

(٣) الآية ١٧ من سورة فاطر، وهي سورة مكية.

في غمار وحدة أمته، قولاً وعملاً، عقيدة وسلوكاً، نظراً وتطبيقاً محققاً بذلك قول بارئه عز وجل: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾**[١].

شروط الامامة :

وتلك، لعمر الحق، عناصر وحدة الأمة، وجوهر وجودها وأساس محورها، ذلك أن الذي لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، ولا يؤمن بالله، غير جدير بالامامة، وليس بمستحق لها، ولو كان من أهلك وذريتك وأقرب الناس إليك إذ العبرة هاهنا بالعمل قبل النسب، ذلك، أن: (من أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه)[٢]. كما جاء في جزء من حديث مروي عن النبي عليه الصلاة والسلام[٣].

قال تعالى: **﴿فإذا نفخ في الصور، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسآءلون﴾**[٤].

---

(١) الآية ١١٠ من سورة آل عمران، وهي سورة مدنية.

(٢) هذه الكلمة الجامعة هي جزء من حديث نبوي رواه الأئمة أحمد ومسلم وأبوداود والترمذي وابن عساكر عن أبي هريرة.
وفي لفظ لمسلم وابن عساكر ومن بطأ به عمله بتشديد الطاء من غير ألف أوله. ذكر الحديث بتمامه صاحب (كشف الخفا ومزيل الألباس العجلوني، كما ذكره صاحب (التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول) الشيخ منصور على ناصف الجزء الأول ص ٦٢-٦٣ بألفاظ متقاربة.
وإليك الحديث كاملاً من الجزء الثاني لكشف الخفا ص ٢٨٣ (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه).

(٣) (التيسير في أحاديث التفسير) للشيخ محمد المكي الناصري الجزء الأول ص٨٥ نشر دار الغرب الإسلامي ببيروت ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

(٤) الآية ١٠١ من سورة المؤمنون، وهي سورة مكية.

خـــاتمة

ياشباب الإسلام . . .

انتم نواة الوحدة الإسلامية، وبذرتها الطيبة، فاحرصوا على صيانة رابطتكم الاجتماعية، والدينية، والسياسية الأولى (الأسرة) من عبث العابثين، وتعاملوا مع النصوص القرآنية المنظمة لقضايا الأسرة تعامل اجلال وتعظيم، تلهمكم معانيها ومغازيها علماً كثيراً ووطنية صادقة، وثقة بالله، ومحبة للناس.

واحفظوا للوالدين مكانتهما الشرعية المقدسة، : **﴿وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، وصاحبهما في الدنيا معروفاً . . .﴾**[1].

ياشباب الإسلام . . .

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾[2] يأمركم بعبادة الله وعدم الاشراك به، ويأمركم بتقوى الله حق تقاته، ويدعوكم إلى وحدة الصف قولاً وعملاً، فكراً وسلوكاً، لتكونوا (أمة وسطاً). **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**[3].

فاعملوا، ما استطعتم، على اصلاح أحوالكم وأحوال من تعولون.

---

(١) الآية ١٥ من سورة لقمان، وهي سورة مكية.
(٢) الآية ٩ من سورة الالاسراء، وهي سورة مكية.
(٣) الآية ١٤٢ من سورة البقرة، وهي سورة مدنية.

وأعدوا ذريتكم خير اعداد لتلقي الأمانة وتبليغها للأجيال، واستجيبوا لدعوة القرآن إلى وحدة الأمة، ونبذ الفرقة تزل عنكم وعن أمتكم كل غمة.

وأحلوا الأخوة في الله محل العصبية الجاهلية الأولى، واتبعوا النماذج القرآنية المقدسة التي كتب الله لكم، ففيها الهداية والرشاد.

﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين اماماً﴾[1].

﴿رب اجعلني مقيم الصلاة، ومن ذريتي، ربنا وتقبل دعاء﴾.

صدق الله العظيم والحمد لله رب العالمين.

(١) الآية ٧٤ من سورة الفرقان، وهي سورة مكية.

الفصل الثالث :

الطريق الى توحيد الأمة الاسلامية

ويتضمن :

* أسس الوحدة الاسلامية

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : السنة المطهرة

ثالثا : الاجماع

رابعا : أسألوا أهل الذكر

خامسا : وجود الامام الدرع الواقى للأمة

سادسا : الاخلاص

سابعا : الاخوة والموالاة

ثامنا : الدفاع عن الحرمات

اعداد

الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق السيد يوسف

مدخل

الحمد لله الذى بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده، وجعل امته خير أمة أخرجت للناس، والصلاة والسلام على نبى الهدى والرحمة الذى تألفت عليه قلوب المؤمنين وأيده الله بنصره وبالمؤمنين، وأعزنا به بعد ذل، وأنجانا بدعوته من الضلالة وقد كنا على شفا هلكه، وعلى آله وأصحابه وأنصاره الى يوم الدين

وبعد:

فإن وحدة الأمة وتماسكها، مطلب شرعى، بل فريضة ثابتة وواجب من الزم الواجبات، قال تعالى **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾**(١) وقال تعالى **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وأصبروا ان الله مع الصابرين﴾**(٢) وقال **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾**(٣). ولا يمكن ان نكون أمة الا اذا كنا جماعة مؤتلفة على منهج وطريق واحد، يقول الله سبحانه وتعالى **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون﴾**(٤)

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

(٢) سورة الانفال الآية ٤٦ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٤) سورة آل عمران الآيات ١٠٥ ـ ١٠٧ .

وقال تعالى ﴿**ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ**﴾[1].

والآيات فى هذا المعنى كثيرة جدا مما يدل على أن وحدة الأمة عقيدة ومنهجا، أمر واجب لزم لا خيار للمسلم فى تركه واهماله، وأن الفرقة والتفرق مدعاة للفشل فى الدنيا، والعذاب فى الآخرة.

وبالرغم من أن وحدة الأمة وتماسكها فريضة شرعية فهى كذلك الوسيلة الوحيدة للعز والنصر والتمكين، فلا قيام للأمة الاسلامية الا بائتلافها ووحدتها، وبالتالى فلا تحقيق لأهداف الرسالة الا بالوحدة والائتلاف، ومعلوم أن للرسالة الاسلامية أهدافاً عظيمة منها تبليغ الاسلام للناس كافة، واقامة الحجة لله على عباده وجعل الاسلام فوق الأديان كلها، والجهاد لتكون كلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى كما قال تعالى ﴿**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾[2]. وقال أيضا ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**﴾[3].

وهذه الاهداف العظيمة يستحيل تحقيقها فى ظل فرقة المسلمين وشتاتهم واختلافهم ومعلوم أيضاً أن المختلفين هم فى شقاق، وبلاء وقتال، والأمة المشغولة بنفسها التى يتنازع أبناؤها ويتفرقون شيعا وأحزابا يكفر بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٩ .
(٢) سورة التوبة ٣٣.
(٣) سورة الانفال الآية ٣٩.

يستحيل أن تقوم لها قائمة، أو يرتفع لها علم أو ينصب لها لواء.

ولما كان أمر الوحدة الاسلامية، والاخوة الدينية فريضة شرعية، وسبيلا لا غنى عنه لتحقيق شرع الله فى الارض، ومراده فى عباده أصبح لزاما علينا أن نسعى فى سبيل تحصيل هذه الوحدة وتثبيت أركانها، وأقامة بنائها.

واقع الامة الحالى :

ولا شك أن الواقع الحالى للأمة الاسلامية مغاير تماما لهذا المطلب الشرعى فقد تفرقت بالمسلمين السبل منذ وقت طويل فأصبحت عقائدهم شتى بعد أن كانت واحدة وأصبحت مناهجهم وسبلهم متفرقة متعددة وتمزق شملهم فى دول مختلفة كثيرة متعصبة كثيرة للوطن، والمذهب، والحزب، والجماعة الخاصة. بل للهوى والمشرب الخاص. ولا شك أن هذا الواقع الأليم هو الذى أفرز الذل والمهانة والفشل، وهو الذى أطمع فى هذه الأمة أعداءها، وجعلهم يتمكنون من رقابها، ويذلونها بكل سبيل.

ولا شك أنه لا يمكن الخروج من الواقع الحالى الا باعادة الأمة من جديد وجمع كلمة الأمة، ولم شملها، وتوحيدها تحت راية واحدة وعلم واحد وامام واحد.

ولا شك أن توحيد الكلمة، وجمع الشمل، ورص الصفوف لا يكون الا بأسباب، ومقصود هذه الورقة هو بيان الأسباب التى يمكن للمسلمين بواسطتها أن يوحدوا صفوفهم، ويجمعوا

كلمتهم. هذه الورقة تعرف بالأسس التى لابد منها لاقامة بنيان الأمة الواحدة. وهذا أوان الشروع فى بنيان هذه الوسائل والأسس التى يجب ارساؤها ليتم بناء الأمة بناء سليما وترص الصفوف رصا صحيحا.

﴿ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾[1].

(١) سورة الانفال الآية ٦٣.

أسس الوحدة الاسلامية

١ ـ أولا: القرآن الكريم:

أول هذه الأسس هو فهم القرآن فهما صحيحا من حيث انه كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن حيث انه هدية الله الى عباده المؤمنين والرحمة المهداة للبشر أجمعين والهداية التامة للناس جميعا، كما قال سبحانه تعالى ﴿**الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**﴾[1] وقال تعالى ﴿**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**﴾[2].

فالقرآن هداية خاصة لأهل التقوى والايمان، وهداية عامة يوضح الطريق لكل انسان. كما قال تعالى ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم**﴾[3].

وهذا خطاب لأهل الكتاب خاصة والناس عامة ان القرآن هداية الى صراط الله المستقيم الذى لا يضل سالكه، قال تعالى ﴿**هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون**﴾[4].

فالقرآن بصاير، أى نور يبصر به كل انسان طريق الحق لو اراد، ورحمة وهداية لأهل اليقين بالله.

---

(١) سورة البقرة الآيتان ١ ـ ٢.
(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥.
(٣) سورة المائدة الآيتان ١٥ و١٦.
(٤) سورة الجاثية الآية ٢٠.

ولا يستفاد من القرآن الا باتباع هذه القواعد:

تكفيه بالقبول والايمان به، وانشراح الصدر له، والعلم أنه أعظم نعمة من الله على عباده، وهو ما أسلفنا القول فيه كما قال تعالى: ﴿**واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا، فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون**﴾[(١)].

فأهل الايمان بالله والثقة به يفرحون ويستبشرون كلما جاءهم جديد من هذا الكتاب وبذلك يزدادون ايمانا مع كل آية يعلمونها ويحفظونها وتتلى عليهم، وأما أهل النفاق والشقاق فانهم مع كل آية يزدادون كفرا ورجسا لانهم يتقبلونها بالانكار والتكذيب والكراهية لما فيها من الأوامر والنواهى. وبالتالى فيزداد كفرهم مع كل تكذيب ويزداد رجسهم مع كل استهزاء... فالمؤمن يزداد مع تنزل القرآن، وتعلم القرآن علما وأدبا وسلوكا وعبادة، وبالتالى ايمانا وتقوى، وأما من كان فى قلبه مرض من شك ونفاق فانه يزداد مع كل آية تتلى عليه شكا وتكذيبا واستهزاء، وبالتالى رجسا الى رجس.

٢ ـ اليقين بأنه كله من عند الله ورد المتشابه فيه الى المحكم

القاعدة الثانية التى يجب اتباعها نحو كتاب الله سبحانه وتعالى هى اليقين بأن هذا الكتاب المحفوظ بكل آياته هو من عند الله

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٤.

سبحانه وتعالى، وأنه لا خلاف ولا اختلاف فيه وأن اخباره كلها صدق، وأحكامه كلها عدل، قال تعالى ﴿**وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته**﴾(١) «أي صدقا فى الاخبار وعدلا فى الأحكام».

ومسلك الراسخين فى العلم من أهل الايمان هو رد ما أشكل عليهم فهمه، وما اشتبه عليهم أمره الى المحكم البين الواضح من كتاب الله سبحانه وتعالى كما قال عز وجل: ﴿**هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات. فأما الذين فى قلبوهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر الا أولوا الألباب**﴾(٢).

فالقرآن يفسر القرآن فلا خلاف بين جزئياته بوجه من الوجوه.. ولذلك غضب النبى صلى الله عليه وسلم أشد الغضب عندما رأى بعض أصحابه يتناقشون فى مسألة من المسائل فقال بعضهم ألم يقل الله كذا، وقال الآخر ألم يقل الله كذا. فغضب الرسول حتى أن عبد الله بن عمر ليقول (فكأنما فقئ فئ وجه رسول الله حب الرمان) وقال صلى الله عليه وسلم (أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما أمرتم به فاتبعوه ومانهيتم عن فاجتنبوه)(٣).

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٥.
(٢) سورة آل عمران الآية ٧.
(٣) أخرجه أحمد وابن ماجه وحسنه الالبانى فى المشكاة (١/ ٣٦).

٣ ـ التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم في بيانه :

القاعدة الثالثة هي الاعتقاد بأن الشخص الوحيد الذى انيط به بيان القرآن بيانا معصوما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو المخول من الله بالبيان والايضاح كما قال تعالى : ﴿**وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون**﴾[١]، ولا شك أن بيان الرسول للقرآن كان بوحى من الله سبحانه وتعالى كما قال جل وعلا : ﴿**ان علينا جمعه وقرآنه، فاذا قرآناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه**﴾[٢]. قال ابن عباس جمعه فى صدرك، ثم أن تقرأه كما أنزل[٣]. وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله بسنته الفعلية والقولية والتقريرية.

فكانت أخلاقه وشمائله تطبيقا للقرآن، وكانت أقواله تفسيرا وبيانا له، بل كانت حياته كلها نموذجا عمليا توضيحيا لهذا الكتاب الكريم، فعلى كل من أراد الاهتداء بكتاب الله أن يتعلم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطبق الدين كما طبقه، ويفهمه على النحو الذى علمه ولا خيار له غير ذلك.

٤ ـ رد مشكلاته واستنباط أحكامه، الى أولى العلم :

القاعدة الرابعة لفهم القرآن هى وجوب رد ما أشكل منه، وما أشتبه فهمه وفقهه الى أهل العلم كما أمرنا سبحانه وتعالى بقوله

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤ .
(٢) سورة القيامة الآيات ١٧ ـ ١٩ .
(٣) انظر تفسير (القمى) من علماء الشيعة.

﴿فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾[1]. وكما قال ايضاً **﴿واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا﴾**[2].

وهذه الآية نص واضح جلى انه لا يجوز الاستعجال فى اشاعة ما لم يفقه ويفهم من أمر الدين بل يجب رده أولا الى الرسول العليم بالأمر، والى أولى الأمر وهم القادة والعلماء المفسرون لكتاب الله، العالمون به وهذا أدب واجب يؤدبنا الله به، حتى لا نصدر الا عن علم وبينة، ولا نقول فى الدين الا بمقتضى التثبت والتأكد.

ولا شك أن مخالفة هذا الأدب قد جرت على الأمة بلاء عظيما، وفتنا كثيرة.

٥ ـ الاخلاص للقرآن والنصح له، والاتيان اليه متجردين من كل العقائد والافكار والتصورات السابقة:

القاعدة الخامسة والاخيرة التى يجب اتباعها مع القرآن هى التجرد الكامل من كل موروث يخالف الحق، والنصح لكتاب الله والاخلاص له، كما قال صلى الله عليه وسلم: الدين النصيحة، ثلاثا: قلنا: لمن يارسول الله. قال الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[3].

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٧.
(٢) سورة النساء الآية ٨٣.
(٣) أخرجه مسلم من حديث تميم الدارى.

ان مفسرى الشيعة ومفكريهم قد استخدموا القرآن دليلا معهم ـ في ظنهم ـ على التشيع والرفض والعجب حقا أنهم عمدوا الى معظم آيات القرآن فأولوها حسب أهوائهم وحسب مازعموه من آيات هذه العقيدة الباطلة التى اعتقدوها ونشروها. وهاك أمثلة لاستعمالهم القرآن فى هذا المجال: يقول على بن ابراهيم القمى وهو من أقدم مفسريهم: عن قوله تعالى ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ عن ابى عبدالله (هو أمير المؤمنين ومعرفته الدليل على أنه أمير المؤمنين قوله ﴿**وأنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم**﴾ وهو أمير المؤمنين فى أم الكتاب)[1].

ويقول أيضا فى قوله تعالى ﴿**الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**﴾ . . عن ابى عبدالله. الكتاب على لا شك فيه. (هدى للمتقين) بيان لشعيتنا.

ويقول القمى أيضا (في قوله تعالى):

﴿**ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها. .**﴾ عن ابى عبدالله. أن هذا المثل ضربه الله لامير المؤمنين فالبعوضة أمير المؤمنين (عليه السلام) وما فوقها رسول الله. يقول: والدليل على ذلك قوله ﴿**فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم**﴾ يعنى امير المؤمنين كما أخذ رسول الله الميثاق عليهم له.

﴿**وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا**﴾.

(١) تفسير القمى ١/ ٢٨ـ٢٩.

مرتدون لأنهم لم يسلموا الى الامام الحق، ولم يذعنوا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم. هذا أصل معتقد الرافضة الذى لا ينكرونه، ولا يكتمونه الآن. ومع أن القرآن الكريم ناطق بغير ذلك تماما فليس فيه آية واحدة تشير مجرد اشارة الى هذا المعتقد، فضلا عن أن تنص عليه، بل آيات القرآن تبين بأن الأمر شورى فى المسلمين، وأنه ليس أحد معصوما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى **﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾**[1]. ومعنى الآية يجب على المؤمن طاعة الله طاعة مطلقة، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك وأما أولى الأمر فطاعتهم مقيدة بطاعة الله ورسوله بدليل عدم اعادة (وأطيعوا) قبل أولى الأمر وبدليل قوله **﴿فان تنازعتم فى شئ﴾** أى مع أولى الأمر والمعصوم لا يتنازع معه. لأن التنازع مع المعصوم كفر بالله، ورد للوحى، والأمر الالهى، ورد الوحى كفر، فالرد على الله ورسوله كفر لان كلام الله معصوم وكذلك كلام الرسول صلى الله عليه وسلم. والشيعة الروافض يقولون كلام الامام المنصوص عليه معصوم كذلك فكيف يكن معصوما والله يقول **﴿فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول﴾** الآية.

أقول بالرغم من أن القرآن كله شاهد على كذب هذه العقيدة الا

(١) سورة الزخرف (الآية ٤).

القرآن نزل أثلاثا، ثلث فينا، وفى احبائنا، وثلث فى اعدائنا وعدو من كان من قبلنا وثلث سنة ومثل)[1].

ولما كان هذا الفهم أو بالأحرى التحريف للقرآن بل الابطال لكل مقاصده ومعانيه يضاد القرآن والمنطق واللغة والعقل فانهم اخترعوا أصلا جديدا يلبسون به وهو أن للقرآن ظهرا وباطنا. فبطن القرآن هو حقيقة معناه، وظاهره يفهم منه العامة خلاف مقصوده الحقيقى، وقالوا إن بطن القرآن وهو معانيه الحقيقية لا يفهمها الا آل البيت.

يقول الجزائرى مفسرا هذا الاصل الفاسد الذى أصلوه:

(ان على بن ابى طالب عنده علم الظاهر والباطن، والمراد من بطن القرآن تأويله، ولا يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم، ومثال ذلك آية الشجرة حيث قال ﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة.** . الى قوله: **ما لها من قرار**﴾ فالمراد من الشجرة الطيبة شجرة محمد وآله صلوات الله عليهم. والمراد من الشجرة الخبيثة، والشجرة الملعونة هم بنو أمية فهذا تأويله)أهـ[2].

وهكذا نجد أن الشيعة لم يهتدوا بالقرآن الكريم بل جعلوه ـ تحريفا وكذبا ـ فى خدمة مذهبهم الباطل وعقيدتهم الزائفة التى تقوم على سب خيار أولياء الله وتحريف كتاب الله، ومناصرة كل أعداء الدين من الزنادقة الملحدين واليهود المغضوب عليهم.

---

(١) مقدمة تفسير القمى ص ٢١.
(٢) المصدر السابق ص ٢٠.

فرد الله عليهم ﴿**ومايضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه**﴾ فى على ﴿**ويقطعون ما أمرز الله به أن يوصل**﴾ يعنى من صلة أمير المؤمنين والائمة عليهم السلام . أهـ .

وقد أتيت بهذه الأمثلة من هذا التحريف من سورة الفاتحة والصفحتين الاولين فقط من سورة البقرة ويعلم الله أن كل القرآن قد فعل به هذا الفعل فحول آلاف الآيات القرآنية عن معانيها ومراميها وأهدافها ووضعها فى نصرة عقيدة مكذوبة فاه بها أول ما فاه عبدالله بن سبأ اليهودى باعتراف السنة والشيعة .

وهذا الذى أقره هنا من أن القرآن كله قد جعل فى خدمة هذه القضية ليس استنباطا منى وانما ذكره من تسمى بطيب الموسوى الجزائرى ، حيث يقول :

(كل ماورد في القرآن من المدح كناية وصراحة فهو راجع الى محمد وآله الطاهرين وكل ماورد فيه من القدح فهو كذلك لاعدائهم أجمعين السابقين منهم واللاحقين ويحمل عليه جميع الآيات من هذا القبيل وان كان خلافا للظاهر : أهـ[1] .

ومن أجل ذلك جعلوا كل مامدح الله به مؤمنا ورسولا من السابقين أنه راجع الى على والى آل بيته وكل ماذم الله به أمة من الأمم الكافرة فهو عائد الى أصحاب رسول الله وتابعيهم باحسان الى يوم الدين ، ويروون أن أبا عبد الله ـ جعفر الصادق قال : (ان

(١) مقدمة تفسير القمى ص ٢١ .

ان جعل السنة المصدر الثانى للتشريع وجعلها مع كتاب الله عز وجل مصدرى التلقى والاتباع، وجعل تشريع الرسول صلى الله عليه وسلم كتشريع الله فى وجوب القبول والاذعان هو شئ اساسى لوحدة الأمة وجمع كلمتها، ولا نتصور بتاتا أن يكون هناك اتفاق واجتماع ونحن لم نحقق هذا الأصل الأصيل، والركن الركين من أصول الدين.

ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد من على الأمة، بحفظ هذا الأصل، كما حفظ القرآن الكريم، وذلك أن السنة شارحة ومبينة للكتاب كما سلف، وضياعها ضياع للقرآن ولا شك أن ضياع البيان ضياع للنص وقد تكفل الله لرسوله بحفظ القرآن فى صدره ثم بيانه له قال تعالى ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه**﴾[1].

فبيان القرآن لازم له.. وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم بذلك خير قيام.

ولا شك أن المخالفين فى هذا الأصل كثيرون قديما وحديثا. فقد نشأ فى القرن الثانى الهجرى من أنكر حجية السنة والعمل بها، ذكر الامام الشافعى فى كتابه الرسالة أقوالهم ورد عليهم. ونشأ من فرق بين أخبار التواتر فيها وأخبار الاحاد، وقد كتبت فى هذا المطولات والمختصرات. ولا شك أن خبر الواحد الصادق عن

(١) سورة القيامة الآية ١٨ ـ ١٩.

(ب) السـنة :

ثانيا: الايمان بسنة النبى صلى الله عليه وسلم وتطبيقها التطبيق الصحيح:

وسنة النبى تعنى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره (وماشاهده أو نمى الى علمه وسكت عليه).

والرسول هو النبى المعصوم صلى الله عليه وسلم، والمكلف بالتبليغ عن ربه والذى لا ينطق عن الهوى والذى طاعته هى طاعة الله ومعصيته من معصية الله، والذى لا طريق الا عن طريقه، ولا دخول للجنة ولا نجاة من النار الا باتباعه والسير على سنته ومنهاجه قال تعالى ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾[1] وقال جل وعلا ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾[2] والآيات فى هذا المعنى كثيرة وكذلك الاحاديث ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (والله لا يسمع أحد بى من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ولا يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من أهل النار)[3] شرح السنة (٥٦١) (١/ ١٠٤)، وقال أيضا صلى الله عليه وسلم (والله لو أن موسى حيا لما وسعه الا أن يتبعني)[4] شرح السنة ١٢٦٠) (١/ ٢٧٠)، وقال أيضاً (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[5].

---

(١) سورة النساء الآية ٨٠.
(٢) سورة النور الآية ٦٣.
(٣) أخرجه مسلم عن أبى هريرة.
(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٣٨٧ وحسنه الالبانى في الارواه ٦/ ٣٤.
(٥) أخرجه مسلم عن عائشة.

يجب الابتعاد عنه وكذلك جاءت ببيان الحرام والحلال كما انها جاءت أيضا بالحث على المستحبات والتنفير من المكروهات.

والخلاصة أن السنة مشتملة على بيان الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام.

وقد خالف فى هذا الاصل أيضا من جعل قول بعض البشر كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تماما فى كونه سنة وتشريعا يجب الالتزام والعمل به، ولا يجوز مخالفته بحال. كما تقوله الشيعة الرافضة فى سنة الائمة المعصومين بزعمهم الذين يجعلون أقوالهم بمنزلة السنة النبوية، بل رفعوها فوقها. كما تزعم الشيعة أن هناك اثنى عشر اماما معصوما بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتطرق الخطأ والغفلة والنسيان اليهم ولا ينطقون عن الهوى، ولا يرتكبون زلة، ولا يحيدون عن الحق قيد شعرة، ويعلمون علم الغيب كله، ولا يفوتهم من علم الله فى الارض والسموات شئ وقد ملأوا كتبهم بآلاف من الأقوال المكذوبة المفتراة على هؤلاء الأئمة وخاصة الامام جعفر بن محمد الذى يسمونه جعفر الصادق والذى افتروا عليه كل زندقة العالم وكفره، كالقول بنقص القرآن وتحريفه، وسب أبى بكر وعمر وسائر الصحابة، وسب أم المؤمنين عائشة، واستحلال دم السنى وعرضه والقول بنجاسته، وجعل عقائد المعتزلة هى العقائد المنزلة من الله. والقول على الله بالبداء.. وكثير كثير جدا من العقائد الزائفة الهالكة كلها ينسبونها الى هذا الامام ويزعمون له العصمة التى شرحناها آنفا.. بل يقولون بامام لم يخلق قطّ، ولم يوجد أبدا يزعمون أنه ولد

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجب التصديق والاعتقاد والقبول كما هو منهج سلفنا الصالح قديما وحديثا وكما عمل الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه وفق هذا فكان يرسل الرجل والرجلين الى الآفاق البعيدة ليبلغ الدين من كتاب وسنة ولا يشك عاقل أنه كانت تقوم الحجة على كل من وصلتهم أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بنقل الفرد الواحد والرجلين.

وقد جاء أيضا من فرق بين سنة واجبة وسنة واجبة أخرى بحجة أن هذا فى المعاملات وهذا فى العبادات وأراد أن يحجب التشريع النبوى عن الحياة فزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم تؤخذ سنته فى امور العبادات والقربات فقط وأما فى البيع والشراء والحلال والحرام، والجنايات والعقوبات فأراد أن ينطبق عليها (أنتم أعلم بأمر دنياكم)[1] وهذا استشهاد فى غير محله لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال هذا في مسألة فنية دنيوية هى تأبير النخل والاسلام لم يأت لتعليم شؤون الزراعة والصناعة، وانما لاقامة العدل ووضع ضوابط المعاملات.

وكذلك انتشر بين جهلة الناس من يظن بأن كل ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم انما يدخل فى باب المستحبات والقربات، وليس فيه شئ من باب الالزام والواجبات. وهذا خطأ وجهل فسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مشتملة على الواجب الحتم الذى لا يجوز مخالفته، ويجب الاتيان به، وكذلك النهى عن الحرام الذى

---

(١) أخرجه مسلم عن أنس وعائشة.

قائل كائنا من كان وأن كل انسان يؤخذ من قوله ويرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والخلاصة أنه قد نشأ فى المسلمين أعداء كثيرون لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصلوا أصولا ووضعوا قواعد تهدم الدين. وتفرق كلمة المسلمين، وتنشر الضلال والعقائد والزيغ بين المسلمين ويستحيل على المسلمين التئام واجتماع الا بوضع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موضعها من الاحترام والاتباع وجعل كل كلام غير كلام الله وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم تابعا لكلام الله وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم فان وافق ذلك أخذ وان خالفه رد وترك.

وبغير تحقيق هذا الأصل يتسحيل أن نسير فى طريق واحد ويكون لنا صراط مستقيم. بل طرق مختلفة تتفرق بنا فى كل اتجاه.

واختفى وهو في الخامسة من عمره وأنه كان يجتمع بأتباعه وحملهم مئات بل آلاف الأخبار والعقائد والأحكام هو الآن مازال مختفيا وغائبا غيبة كبرى منذ ألف عام وتزيد. . وهذا هو الامام الثانى عشر عندهم والمهدى المنتظر، والكلام الذى ينسبونه الى هذا المعصوم الذى لم يوجد قط يجعلونه كذلك بمنزلة السنة النبوية فى وجوب العمل والاعتقاد، والحاصل أن هذا الكلام المنسوب اليه لا يتفق فى أصل ولا فرع مع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم الحقيقية وهكذا ينهدم معنى السنة عند هؤلاء ولا يكون له أى ذكر أو اعتبار خاصة وأن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم الحقيقية يعتقدون أنها لا تثبت بنقل الصحابة الاخيار الأطهار لأن الصحابة عندهم من الكافرين الفجار. وبهذا أقام هؤلاء سنة خاصة بهم كلها كفر وزندقة والحاد، وتركوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

فكيف يتم للمسلمين وحدة وأخوة ومودة والتئام. . مع من أصلوا لهم أصولا تخالف أصول أهل الايمان والاسلام. وتركوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن العداء للسنة كذلك تقديم قول بعض المتبعين من الأئمة والعلماء على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الواضح البيان بعد ظهوره فى الذهن والعيان. وهذا من الباطل والانحراف بل قد يؤدى الى الكفر والنفاق.

وقد نص الأئمة جميعا رضوان الله عليهم أنه لا يجوز لمسلم استبانت له سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، أن يتركها لقول

وأثنى الله سبحانه وتعالى عليهم فى آيات كثيرة من كتابه وأخبر أنه قد رضى عنهم، وتاب، عليهم، وأنهم أهل رحمته ورضوانه.

ومن هذا كله نعلم أن السبيل الذى سار عليه هؤلاء الأصحاب، واجتمعت عليه كلمتهم لا شك أنه سبيل الله، وطريق النبى صلى الله عليه وسلم، والصراط المستقيم.

ولقد أجمع هؤلاء الأصحاب رضوان الله عليهم على أمور كثيرة من أمر الدين لا شك أن اجتماعنا عليها سيجمع كلمة الأمة على أمور كثيرة فرقت الأمة طويلا. من هذه الأمور:

الاجماع على أنه لا معصوم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الخلافة شورى، وأن الصديق هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه الله ورضيه رسوله والمؤمنون وأن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين وخليفة خليفة رسول رب العالمين، واجتماع المسلمين كذلك على عثمان واتفاق كلمتهم عليه، واجتمعوا أن كتاب الله هو الذى بين أيدينا، وأجمعوا على الصلوات الخمس فى مواقيتها والصوم فى رمضان والحج، وأن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة الاتباع، واجتمعوا وأجمعوا على عامة أساسيات الدين، وفروضه العامة وأجمعت الأمة فى كل عصورها على أن الصحابة رضوان الله عليهم هم خير قرون الاسلام وأفضل أجياله.

ولا شك أن الشذوذ عن كل ذلك بل بعض ذلك ضلال وباطل، واتباع غير سبيل المؤمنين وخروج عن الصراط المستقيم والدين

ثالثا : الاجماع، واتباع سبيل المؤمنين :

الأصل الثالث الذى يجب اتباعه لتحقيق وحدة الأمة الاسلامية واجتماع كلمتها هو وجوب اتباع سبيل المؤمنين، والبعد عن الشذوذ، والانفراد، والعلم أن من مميزات هذه الأمة أنها معصومة عن الخطأ، كما قال صلى الله عليه وسلم (ن الله تعالى لا يجمع أمتى على ضلالة)[1] وهذا من تمام نعمة الله على هذه الأمة التى وصفها الله بقوله تعالى ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[2] ولقد جعل الله سبيل المؤمنين هى سبيله وسبيل رسوله فقال : ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**﴾[3] .

ولا شك أن خير قرون هذه الأمة هو قرنها الأول ثم الثانى ثم الثالث كما قال صلى الله عليه وسلم (خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[4]. فالقرن الأول هم أصحاب النبى وأنصاره وأصحابه ومن قام الدين على أيديهم وأعلنت كلمة الله فى الارض بجهادهم كما قال سبحانه وتعالى ﴿**هو الذى أيلك بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم**﴾[5] .

---

(١) أخرجه الترمذى عن ابن عمرو وحسنه وصححه الالبانى فى ص . ج . ص (١٨٤٤) .
(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠ .
(٣) سورة النساء الآية ١١٥ .
(٤) أخرجه الترمذى والحاكم عن عمران بن حصين وصححه الالبانى فى الصحيحة (٦٦٩)
(٥) سورة الآنفال الآية ٦٢ .

به، والسير بمقتضاه، وهذا سيوفر على المسلمين اليوم جهودا عظيمة، تذهب هدرا وسيقضى على الخلاف فى أمور كثيرة.. وسيضع الأمور فى نصابها الصحيح، وسيرشد الى التطبيق السليم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن الكتاب والسنة وهما مصدر التشريع وأصل الدين ظهر تطبيقهما على أفضل نحو وفى أكمل مستوى فى عصر الصحابة، والخلافة الراشدة.. وبالتالى أصبح هذا هو النموذج الامثل الذى يجب أن يحتذى فى كل عصور الاسلام، فاذا جاء من يقضى على هذا الأصل ويقول بل كان هذا العصر هو أسوأ عصور الاسلام وأظلم عهود الدين، وأن القرآن والسنة لم يطبقا فيه على الوجه الصحيح كان هذا يعنى هدم الدين كله، واعطاء تفسير آخر للقرآن والحديث، وفى النهاية عزل القرآن والحديث عن حياة المسلمين وهذا ماسعت اليه وسارت فيه الفرق الباطنية الخبيثة التى تسترت بالاسلام ودخلت فيه ظاهرا لتهدم أصوله من الدخل وقد فعلت، وللأسف انطلت فعلتها على كثير من الناس.

والحق أنه ليس هؤلاء وحدهم هم الذين خالفوا فى هذا الأصل بل ان كثيرا من المتنطعين الجاهلين والمتشددين المارقين خرجوا عن اجماع الأمة وشقوا عصاها قديما وحديثا وفى كل العصور ولا غرو فى ذلك فأولهم هو الذى أراد أن يقيم الرسول صلى الله عليه وسلم فى زعمه على الحق ويرشده فى زعمه الى ماتعمد الخطأ فيه فقال (اعدل يامحمد فوالله هذه قسمة ما أريد بها وجه الله)[1]!!

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى.

القويم الذى بعث به رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم.

ان الاجتماع على ما اجمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرورة ملحة فى وقتنا الحاضر، الذى نشأت فيه الفرق الباطنية الخبيثة التى قامت على أساس نسف هذا الأصل المكين والتى يقوم دينها على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخلف الا ركاما، وظلاما، ولم يترك الا رجالا ملأ النفاق قلوبهم، والكفر افئدتهم وأنه لم يخلف صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة أو خمسة فقط كانوا على دينه وملته وطريقته. وأما الآلاف المؤلفة الباقية فكانوا كفارا منافقين، ولا عبرة لاجتماعهم، ولا وزن لاجماعهم.

وهذا نسف للدين من أساسه، واتهام للرسول صلى الله عليه وسلم بالفشل الذريع، بل بالفضيحة والجهل أنه وثق فيمن ليسوا أهلا للثقة، ومدح من لم يكونوا أهلا للمدح، وعاش فى وسط جماعة لم يحسن تربيتهم وتهذيبهم، وحاشا الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك وحاشا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فهم والجميع يشهد كانوا أبر الناس قلوبا، وأعمقهم علما وأقلهم تكلفا لقد كانوا هم الأبرار الاتقياء الذين شهد الله لهم بالايمان والفضل والجهاد والخير وشهد لهم رسول الله ايضا بذلك وكفى بالله شهيدا سبحانه وتعالى.

والخلاصة : أن اعتماد الاجماع، وما اتفق عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ائتلفت عليه قلوب المؤمنين جيلا بعد جيل أصل مكين من أصول الدين يجب تعلمه والايمان

رابعا: الاستبصار برأى أهل العلم والفقه والبصيرة:

الأصل الرابع من الأصول التى يجب معرفتها والعمل بها للوصول الى وحدة الأمة وتوحيد كلمتها، وصراطها، هو وجوب الرجوع فى المشكلات والمتشابهات، الى أهل العلم والرأى والفقه والبصيرة. وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الناس متفاوتين فى الفهم والبصيرة، وليس كل من حمل علما كان فقيها مستبصرا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه)[1]. فشتان بين حفظ العلم وفهمه وفقهه.. الأول قد يكون مقدورا عليه عند كثير من الناس والثانى يقل ويندر.. ألا ترى عند بعض الأطفال قدرة عظيمة على حفظ النصوص ولكنهم مع ذلك يحملون قدرة محدودة على فقهها وفهمها.. وهناك ايضا كثير من الكبار قد يحفظون القرآن ولا يفقهون معانيه وقد يحفظون جانبا عظيما من الاحاديث وليست لهم خبرة كبيرة فى فهم معانيه وطرق استنباط الأحكام منه.

ولهذا وجب على المسلم المستبصر أن يعود الى من حباهم الله سبحانه وتعالى علما وفقها وحسن رأى ومشورة فيما أشكل عليه من أمر الدين، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك حيث قال جلا وعلا: ﴿**واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه**

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه عن أنس.

وكان هذا الاسلوب المارق أسلوب طوائف كثيرة من بعده، أنكروا على خلفاء الاسلام وخيرة أتقياء الأمة، وأرادوا اصلاح الهفوة المغيرة، والخطأ اليسير فارتكبوا العظام من شق عصا المسلمين، واستحلال دمائهم واموالهم.

ولقد عانى المسلمون الأمرين من هؤلاء وهؤلاء.. الفرق الباطنية التى خرجت على اجماع الأمة بخبث ومكر ودهاء، وشرعت فى نسف أصول وحدة الأمة وتحطيم قادتها، وتشويه عظمائها وأشرافها وفرق الخوارج المارقة، والمتشددين الجهلة الذين خرجوا على اجماع الأمة بجهل وغباء، فاعملوا السيف فيها، وشقوا عصاها وأرادوا حمل الأمة على ماظنوه حقا فأفسدوا على المسلمين دينهم، ووحدتهم وكانوا عونا لأعداء الله المتربصين.

وهكذا ابتلى الاسلام فى تاريخه بعدوين لدودين عدو خبيث ماكر، وعدو جاهل غبي.

والعصمة من هؤلاء وهؤلاء هى فهم أصل الاجماع، وتبرئة من برأهم الله، والحرص على اجتماع الكلمة ولم الشعث واجتماع الصفوف، والتنادى الى نبذ الخلاف، والاعتصام بجماعة أهل الاسلام، والالتقاء على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

انظر الى كثير من المتعجلين الحمقى الذين انتشرت فيهم اشاعة ابن سبأ اليهودى بشأن عثمان رضى الله عنه ففهموا اعماله على غير وجهها واتهموه بما هو براء منه. وانتهى بهم جهلهم وحماستهم الباطلة بأن استباحوا دمه، وقتلوه، وفتحوا أعظم باب للشر على هذه الأمة.

وانظر بعدهم فرقة الخوارج الذين فهموا الدين على غير وجهه وعابوا على أمير المؤمنين على بن ابى طالب وانكروا عليه ماظنوه مخالفا للدين وليس كذلك من رضائه بالحكمين. وعدم اجهازه على جرحى موقعة الجمل، وامتناعه عن تقسيم غنائمهم على المحاربين معه ونحو ذلك مما لم تبلغه عقولهم، ولم يفقهوه.. فما كان منهم الا سبه وتكفيره ثم استحلال دمه وقتله.. وهذه الطوائف الجاهلة ظلت تخرج على المسلمين بفقهها الأعرج، وحماسها الأهوج فى كل وقت وحين مخلفة آثارا مدمرة، وجراحا عميقة فى الجسد الاسلامى، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول فيهم **(يقتلون أهل الاسلام، ويدعون أهل الأوثان)**[1]. وقوله **(يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم)**[2] أى لا يصل الى قلوبهم من قلة الفقه والفهم.

ولو أن أمثال هؤلاء وعوا هذا الأصل، وهو وجوب التريث فى الحكم، والاناة والصبر وسؤال أهل العلم والرأى، والرجوع فى المشكلات والمستعصيات الى أهل العلم والحلم لوفروا على

---

(١) أخرجه مسلم عن أنس وعائشة.
(٢) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى.

الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[1].

وفي الآية يعيب سبحانه وتعالى عن بعض ضعفاء البصائر والعقول ممن يذيعون كل خبر وينشرون كل مايفيد أمتنا فى غير مكانه، وخوفا فى غير موضعه، فيرجفون ويفسدون. . يعيب الله على هؤلاء أنهم يجب عليهم أن يرجعوا كل خبر الى أهل الرأى والمشورة والعلم والاستنباط، ليدلوهم على مدلول الخبر، ومفهوم النص ومراميه، ولماذا أمر الرسول بكذا ونهى عن كذا، ووجه على كذا، ولم يوجه الى كذا.

وهذا القاعدة لو فهمت على وجهها الصحيح فانها ستوفر على المسلمين جهودا طويلة شاقة، وعناء كبيرا جدا بل ان كثيرا من الشرور والآثام انما جاءتنا وابتليت بها الأمة من كل متسرع عجول يرى أو يسمع شيئا من أمر الدين فيفهمه على غير وجهه، ويتسرع فى حكمه فيفسد ويضل.

انظر الى ذلك المتسرع الجاهل العجول الذى رأى النبى صلى الله عليه وسلم يوزع غنائم هوزان على غير القسمة المعهودة، فيعطى مسلمة الفتح ويحرم الأنصار والمهاجرين فيظن أن الرسول حابى أهله، وتودد الى أقاربه وبنى عمومته، وجافى خلص أصحابه فقال للرسول (اعدل يا محمد فوالله هذه قسمة ما أريد بها وجه الله!!)[2].

---

(١) سورة النساء الآية ٨٣.

(٢) تقدم تخريجه ص ٩٨.

غضب مائة ألف من قومه يحملون السلاح لا يسألونه فيما غضب، رأى سهيل أن هذه ذلة ولا يرضاها فكاد أن يرد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم اليه ويعود الى الكفر، لانه رأى أن ماوقعه الرسول صلى الله عليه وسلم يضاد فى ظاهره مايدعو اليه وماينشر له.. ولم يكن يدور بخلده آنذاك أن الذى وقعه الرسول صلى الله عليه وسلم هو أعظم فتح فى الاسلام!!

ولذلك كان سهل يقول أيها الناس اتهموا الرأى فى الدين!!.

والخلاصة أن تحقيق هذا الأصل يقتضى التريث وعدم التسرع فى الحكم على الأشياء ووجوب التبصير فى الدين والتفقه فيه.. ألا ترى أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم بعض الصحابة أنه لم يمت وهدد من قال بموته بالقتل. وعندما عزم الصديق على قتال المرتدين قام فى وجهه من ظنوا أنه حكم بالباطل، وأراد أن يقاتل من لا يجوز قتاله.

وكذلك هناك من عارض عمر بن الخطاب فى كثير من سياساته التى جاء الواقع بعد ذلك مؤيدا لها، وكذلك جاء من عاب على عثمان ماظنه باطلا وهو حق وانتهى انكارهم بمقتله واستحلال دمه.. وهكذا أمور كثيرة ودروس عظيمة مرت بأمة الاسلام توجب عليهم مايلى:

١ ـ التريث عند الخلاف، وتعميق النظرة واحالة الفكرة وتقليب الأمور على كل وجوهها قبل اصدار الأحكام.

٢ ـ ارجاع الأمور المختلف فيها الى أهل العلم والبصيرة

المسلمين كثيرا من الجهود الضائعة، ولجنبوا أهل الاسلام كثيرا من الفتن الماحقة.

لقد حذر السلف رضوان الله عليهم من التسرع والجهل والحماسة فى غير موضعها.

كما روى البخارى باسناده الى سهل بن حنيف رضى الله عنه قوله (أيها الناس اتهموا الرأى فى الدين فلقد كدت أن أرد على رسول الله أمره يوم حادثة أبى جندل) وهذه موعظة فى غاية الحسن، فسهل بن حنيف من أحلم الناس ومن أوسعهم عقلا وحكمة وهو يقول عن نفسه انه كاد أن يخرج من الاسلام، ويرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيعته بعد ماوقع الرسول صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية والذى كان من شروطه أن يرد المسلمون الى الكفار من جاء اليهم مسلما ولا يرد الكفار من جاءهم من المسلمين كافرا وبعد توقيع هذه المعاهدة وفيها هذا الشرط القاسى المذل فى ظاهره لأهل الاسلام والذى يبدو منه أنهم رضوا بالدون، وقبلوا بالدنية، وأن الكفار هم الأعزاء!!

وفى هذا الوقت العصيب جاء أبو جندل بن سهيل بن عمر يرسف فى اغلاله وهو يستغيث بالمسلمين انقذونى من الكفار فانهم يعذبوننى، ولم يستطع المسلمون فعل شئ له تطبيقا للمعاهدة بل انهم ردوه الى الكفار وهو يستغيث بالمسلمين فلا يجد من يغيثه والرسول صلى الله عليه وسلم لا يزيد على أن يقول له (أصبر يا أبا جندل فان الله جاعل لك فرجا ومخرجا)!! وعند ذلك رأى سهل بن حنيف وسيد قومه، والذى كان اذا غضب

يجوز له أن يتوجه الى العمل الذى تشتبه فيه الأدلة ويضطرب فيه الرأى، وتختلف فيه العقول الا بعد رؤية ومشورة، ورجوع الى أهل الفضل، والرأى والتجربة ليستنير المؤمن فى دينه، ويعرف المجتهد طريقه.

ولعل أوضح مثال معاصر يمكن أن يفهم فى هذا الصدد ماقامت به تلك الفئة المستعجلة المتسرعة الذين ألحدوا في الحرم فجر الأول من المحرم سنة ١٤٠٠هـ. فهذه الفئة بالرغم من أنها كانت مجتهدة فى طلب العلم، وحفظ النصوص الا أنها كانت لا تملك فقها ولا فهما، وراحت تنزل النصوص التى حفظتها وحققتها على غير مواضعها، فوضعت الآيات النازلة فى الكافرين والمنافقين فى المؤمنين والمسلمين، ونزلت أحاديث المهدى الصحيحة الثابتة فى السنة على غير منزلها، وفى غير موقعها، حيث أنزلتها على شخص نكرة لا قدم له فى علم ولا فقه ولا جهاد، ولا نسب له يعرف قبل ذلك لأهل البيت ونسل الرسول صلى الله عليه وسلم فجعلوه هو المهدى المنتظر، والامام الذى تجب طاعته، وبيعته على كل مسلم، ودعوا الناس الى بيعته بين الركن والمقام وكان من فتنتهم مايعلمه عامة أهل الاسلام اليوم. ومعلوم ماذا خلفت فتنتهم من بلاء وشر على أهل الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها..

وهذا مثال صارخ على الفارق العظيم بين حفظ النصوص وفقهها، وصدق رسول الله (رب حامل فقه ليس بفقيه)[1]!! ولو

(١) أخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى.

والفقه، وعدم الاعتماد على النفس فقط، وعدم الاعتزاز بظاهر العلم وبريقه فى النفس.

٣ ـ اليقين بأن الرأى يصيب ويخطئ، وأن مجال الاجتهاد فى الشريعة واسع جدا، ومجال المشتبه فيها كبير جدا، وأن هذا يحتاج الى الجهابذة الأفذاذ الذين يوفقهم الله لوضع الأمور فى نصابها وتنزيل الأحكام على منازلها الصحيحة.

ومن أجل ذلك كله جعل الله الشورى أصلا من أصول الدين ومعرفة الصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة، وكيفية تنزيل الأحكام فى منازلها الصحيحة، وتطبيقها على الوجه الأمثل والأكمل. كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (وشاورهم فى الأمر)[١] علما أن النبى صلى الله عليه وسلم فى الأصل مستغن عن المشورة بما كمله الله به من العقل الراجح، والبصيرة النافذة والنبوة والرسالة، ومع ذلك أمره الله بمشاورة أصحابه وقال أبو هريرة مارأيت أحدا أكثر مشورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه. وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه استشار أصحابه فى السلم والحرب، وتولية الأمراء، كما استشارهم فى الافك الذى رميت به زوجته الطاهرة الشريفة أم المؤمنين.. وعلى هذا المنوال سار أصحابه الكرام فكان الخلفاء لا يصدرون الا عن الشورى، ولا يفعلون الا بعد ترو وتأن ظاهر، حتى تتضح الرؤية، ويظهر السبيل.. وباختصار. هذا الأصل يعنى أن المسلم لا

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه عن أنس.

خامسا : وجود الامام الدرع الواقى للأمة

الأصل الخامس من الأصول الواجب اتباعها وصولا الى وحدة الأمة، وتوحيد كلمتها وصراطها وهو وجود الامام العام الذى يقيم الشورى، ويحكم بالاسلام، ويطبق شرع الله فى الأرض، لأن مثل هذا الامام هو الدرع الواقى لأمة الاسلام، وهو نقطة الالتقاء والملاذ عند الخلاف والاختلاف، وحكمه فى النهاية المبنى على الشورى، والنظر هو الحاسم للاختلاف، والقاطع لمادة الشقاق.

والنظر فى تاريخ الأمة الاسلامية يوضح هذا الأصل تماما، فطالما كان للمسلمين امام واحد تجتمع عليه الكلمة، ويجتمع عنده الشمل كان للمسلمين صراط واحد، وموقف موحد من المشكلات والقضايا التى تعترض سبيلهم، وكانوا فوق الريح كما يقال، وكلما انشقت العصا وكان للمسلمين أكثر من امام، أو لم يكن لهم امام كان المسلمون كالشياه المضيعة المطيرة لا راعى لها، كل طائفة منهم تضرب فى اتجاه، وكل فريق منهم يسير فى ناحية، وهذا هو حال الأمة الاسلامية اليوم. . . لما لم يكن مرجع وموئل يرجعون اليه وامام عام يوحد كلمتهم فى الارض كلها، ويجمع شتاتهم وينسق جهادهم وجهودهم فأنت تراهم اليوم يضربون فى كل اتجاه على غير هدى ويفتون، فى كل مشكلة بغير بصيرة الا من رحم الله ولا يجتمعون على رأى واحد قط وكيف يجتمعون أو يجمعون، وهم شتات فى كل جنبات، والمشكلات تعترضهم من كل اتجاه فهذه افغانستان تشتعل بما فيها. وهذه فلسطين المضيعة الضائعة، وهذه الشيشان الاسلامية تتعرض

أن هؤلاء الجهلة الغوغاء علموا هذا الأصل الأصيل، وهو وجوب التريث قبل اصدار الأحكام ومشاركة أهل العلم والفضل قبل الاقدام، واتهام الرأى وعدم الاغترار لما أقدموا على ما أقدموا عليه من الفساد والالحاد فى حرم الله وبيت الله وشهر الله الحرام. ولعلموا أن المهدى الثابت فى السنة لابد وأن يملك من المؤهلات مايصلح الله به البلاد والعباد، ولا يكون فى مستوى هذا الغر الذى لم يكن له فيمن حوله من أصحاب تصرف ورأى وقيادة، فكيف يمكن لمثله أن يقول العالم، وينقذ أمة الاسلام!!.

ولعل بهذا الشرح والبيان لهذا الأصل العظيم أكون قد وضعت يد اخوانى على أصل هام، وأهديتهم أصلا من الأصول العظام، وهو التريث والتثبت قبل أصدار الأحكام والرجوع الى أهل الرأى والعلم قبل التصدر للفتيا بين الأنام، وتنزيل نصوص القرآن والسنة منازلها حيث أنزلها الله ورسول الاسلام.

فمن الأدلة على ذلك أن شأن الامامة كان أول أمر فكر به المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة.. ولذلك قدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم: لأن أى تسويف وتأخير فى ذلك يترك الناس دون مرجع فيتصرف كل منهم بما يشاء، وما يحلو له: ومايؤديه اليه اجتهاده كما ذهب الأنصار واجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة لاختيار الامام منهم.. ولو تركهم المهاجرون لكان لهم ما أرادوا، ولما استطاع المهاجرون الا الاذعان لاجتهادهم والنزول على رغبتهم لقوله صلى الله عليه وسلم (اذا بويع خليفتان فاقتلوا الآخر منهما)[1] ولقوله صلى الله عليه وسلم (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه بالسيف كائنا من كان)[2].

ومما يدلك على تعظيم السلف للامامة الكبرى اجتماعهم على الصديق، وتقديمهم لامره واجتهاده، وتعظيمهم لذلك حتى ان عمر الفاروق ليجادل الصديق فى قتال المرتدين ويقول له: كيف تقاتل قوما يشهدون أن لا اله الا الله ويصلون فيقول له: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال... وهنا يقول عمر القاروق: (فوالله ما ان رأيت أن الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال حتى علمت أنه الحق)[3].

فانظر اذعان عمر ورجوعه الى رأى الصديق واجتهاده: لأنه

---

(١) أخرجه مسلم عن ابى سعيد الخدرى.
(٢) أخرجه مسلم عن عرفجة.
(٣) أخرجه البخارى عن أبى هريرة.

للدمار والامة تتسمع وتلك البوسنة والهرسك التي اصبحت مضرب المثل في تخاذل الامة الاسلامية عن نصرتها وفي كثرة المؤامرات ضدها وضد شعبها المسلم الصامد وهذه أوطان المسلمين يغترب فيها الاسلام ويلاحق ويطارد ـ من السلطات الحاكمة ـ الا ماشاء الله. وهاهو الشباب المسلم يعيش الضياع الفكرى والعقدى، ويقع فريسة لجهله، وهياجه وحماسه، تصارعه الضغوط من كل اتجاه ويجابه المشكلات من كل صوب، وفى هذا المناخ المضطرب تنمو أفكار التطرف ويصبح الصبر والتريث والتعقل بعيد المنال، فلا حول ولا قوة الا بالله.

والخلاصة: أن الامام عصمة من الخلاف وقاطع لدابر الشقاق، فهو موئل الأمة وملاذها ومن أجل ذلك أمرنا بالصبر عليه مع ظلمه، وعدم شق عصا الطاعة له مع انحرافه، وعدم الخروج اليه بالسيف الا اذا كفر كفرا بواحا لا تأويل له، ولا تفسير له الا الكفر البواح.. واما فى غير ذلك فقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر عليه، والاذعان لأمره، وذلك أن افتراق الأمة أعظم الشرين، والعاقل اذا خير بين مفسدتين اختار أيسرهما، فالصبر على امام ظالم جائر منحرف بعض الانحراف، خير ولا شك من افتراق الأمة وشق عصاها، لان هذا ذهاب ريحها، وتفرق كلمتها ولا شك أنه يحصل بذلك من الشرور أضعاف أضعاف مايحدث من الصبر على جور الامام.

والمطالع لسيرة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يجد أنهم كانوا يعظمون الامامة الكبرى جدا ويضعونها فى المقام اللائق بها.

محمد بن مسلمة رضى الله عنه ما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ماوجد السيف قد وقع بين الأمة.

والخلاصة: انه لا شك أن الامام العام أصل عظيم من أصول اجتماع الأمة بل هو الذى يجعل الأصول السابقة كلها فى مقام التطبيق، فلا اجتماع على كتاب ولا سنة: ولا يكون اجماع واتفاق الا بامام يقيم الأمة على الكتاب ويجمعها على السنة: ويكون موئلا لأهل الرأى والشورى ومفزعا للجميع من الفرقة والخلاف.

يعلم أن الله سبحانه قد طهر قلب الصديق: ويستحيل أن يشرح صدره لباطل!!

وهكذا كان موقف عمار رضى الله عنه فى قضية التيمم: وموقف حذيفة بن اليمان مع عثمان رضى الله عنه فى الاتمام فى السفر.. وكذلك موقف السلف وخيار الصحابة عندما اجتمعت الكلمة لمعاوية ابى أبى سفيان، وتنازل الحسن بن على رضى الله عنهما له حقنا لدماء المسلمين، وجمعا لكلمتهم، وكذلك موقفهم من عبد الملك بن مروان لما اجتمعت له الكلمة.. وكذلك لأبى جعفر المنصور لما حاز الشوكة واجتمعت له الكلمة.. ولا شك أن هذه المواقف كلها أسهمت فى جمع كلمة الأمة ولم شعثها واتحاد كلمتها، وكان هذا ولا شك خيرا من المواقف الأخرى التى ادت الى وقوع السيف فى الأمة وشق عصاها: وحصول المآسى والمصائب العظيمة التى لم يجن المسلمون من ورائها الا المصائب والعلقم وانشغال المسلمين بأنفسهم وتركهم الجهاد الحقيقى والغزو الحقيقى فى سبيل الله، وهدر دماء المسلمين فى الباطل.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال لمحمد بن مسلمة (خذ هذا السيف فقاتل به: فاذا رأيت السيف قد وقع بين المسلمين فاكسره على صخرة من جبل سلع[1]..) وقد فعل

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٢٥ عن سهل بن أبى الصلت عن الحسن مرسلا وذكر الحافظ فى الأصابة (٩/ ١٣٢) عن الحسن كذلك (والذهبى فى السير ٢/ ٣٧٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٣).

لأن العداوة قد تكون مدعاة الى الظلم والتعدى، والشهادة بالباطل واستحلال الحرمات وقال تعالى ﴿**ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا**﴾(1).

وذلك لأن الرغبة فى نصر القريب: قد تدفع الى الشهادة بالباطل: والى المماطلة فى الحق..

ولا شك أن التحاسد والتباغض والتنافس على الغرض الدنيوى وكذلك الرغبة فى الظهور والشرف والرفعة كل ذلك من أعظم الأمور التى أفسدت على اتباع الرسول اتباعهم، وبذرت الشرور فيما بينهم، وجعلتهم يختلفون من أجل البغى والشقاق، والحسد لا لأنهم لم يعرفوا معرفته والوصول اليه.. قال تعالى ﴿**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم**﴾(2).

وهنا نجد ان الله سبحانه وتعالى قد يبين أن أتباع الرسالات قد اختلفوا فى الدين والكتاب بسبب البغى بينهم لا لأن الكتاب لم

(1) سورة النساء الآية ١٣٥.
(2) سورة البقرة الآية ٢١٣.

سادسا : اخلاص الدين لله

لا شك أن اخلاص الدين لله سبحانه وتعالى شرط أساسى لقبول أى عمل من الاعمال كما قال تعالى : **﴿فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص﴾**[1]. وقال تعالى : **﴿قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له دينى﴾**[2] وقال النبى صلى الله عليه وسلم (انما الأعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه)[3].

وهذه النصوص جميعها مبينة أنه لا يقبل عمل من أعمال الدين يراد به التقرب الى الله سبحانه وتعالى الا اذا كان خالصا لوجه الكريم : وابتغاء مرضاته.

وبالرغم من أن اخلاص العمل شرط فى كل عمل الا أن الاخلاص والقيام لله : والتجرد له وحده أشد طلبا : وأعظم الحاحا عند الادلاء بالشهادة والتعامل مع الناس : واختلاف الآراء، فلا وصول الى الحق مطلقا الا بالاخلاص لله والتجرد له : ولذلك أمر سبحانه وتعالى المؤمنين أمرا خاصا بذلك عند الخصوصيات قال تعالى **﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا. اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون﴾**[4]. . وهذا

---

(١) سورة الزمر الآية ٣.
(٢) سورة الزمر الآية ١١ .
(٣) أخرجه الشيخان من حديث عمر.
(٤) سورة المائدة الآية ٨ .

والحسد كما جاء فى الآية: ومنها الجهل والتقول والتحريف وكذلك منها التكامل، والقعود عن نصرة الحق.

ولا شك أن أعظم أسباب الخلاف فى الدين، وترك الاستقامة على الصراط المستقيم انما هو بسبب الحرص على المال والشهرة كما قال صلى الله عليه وسلم: (ما ذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بأشد افسادا.. من حرص المرء على المال والشرف لدينه)[٥٩].. فحرص العلماء على المكانة الدنيوية، والرفعة الظاهرية، والأموال والدنيا الدنية هو الذى جعلهم يختلفون ويخالفون شريعة البرية ومن أجل ذلك قلنا هنا.. ان من الأصول الواجب اتباعها خروجا من الخلاف بين المسلمين، وجمعا لكلمتهم، وتوحيدا لصفوفهم أن يقوم الجميع لله متجردين، وللدين خالصين مخلصين، لا يبتغون بجهادهم الا وجه الله رب العالمين.

ولا شك أنه اذا اختفى الخلاف والشقاق، وظهر الوئام والانتفاق وارتفعت حظوظ النفوس، والتنافس والتحاسد حل مكان ذلك الوئام والتقارب والتوادد ووجدت وحدة الأمة واجتماعها وهنا تظهر رحمة الله ورضوانه وهدايته.

وعلى كل حال هذا أصل عظيم يجب التفطن اليه وهو أننا نحتاج الى منهاج تربوى، يخرج علماء مخلصين عاملين، لا

(١) أخرجه مسلم عن ثوبان.

يوضح الحق، أو لأنهم عجزوا عن الوصول اليه، فما من رسول أرسله الله الا وبين البيان الكامل، واوضح الطريق، ووضح الحدود الفاصلة بين الحق والباطل والهدى والضلال.

ولكن أتباع الرسل ضلوا من بعدهم، واختلفوا فى الحق بسبب التحاسد والتباغض والتدابر كما قال الله (بغيا بينهم) لا بسبب ضعف الدليل، وضمور الحجة، وخفاء السبيل ولكن الله برحمته سبحانه يهدى من يشاء من أتباع كل رسول الى الحق من بعده، كما قال تعالى ﴿**فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم**﴾*. وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم: (مامن رسول بعثه الله الا كان له أصحاب وحواريون يهتدون بهديه. ويستنون بسنته ثم تحدث من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل)[1]. والحديث يبين أنه يقع الاختلاف بعد الرسل زيادة فى الدين ونقصا وتقولا.. وأنه توجد طايفة على الحق تجاهد عليه.

كما قال صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك).

ولا شك أن الضلال عن الدين متصل بأسباب كثيرة منها البغى

---

* سورة البقرة الآية ٢١٣.

(١) أخرجه مسلم.

وأما اذا ترك الحبل على الغارب لعلماء اللسان المنافقين فانهم سيزرعون الشقاق والنفاق ويبذرون بذور الفرقة والاختلاف، وذلك لتبقى لهم مراكزهم، وليستمر لهم الشرف الزائف وأموال السحت التى يأكلونها بفتواهم الباطلة وعدولهم عن الصراط المستقيم.

والخلاصة أنه من أجل توحيد صراط الأمة لابد من السير وراء أئمة الحق والعدل وعلماء الدين الأتقياء الذين يعرفون من أخلاقهم ودينهم ومسلكهم أنهم من أهل التجرد لله والاخلاص له وهؤلاء هم أمل الأمة فى جمع صفوفها وتوحيد كلمتها.

منافقين عاملين باللسان فقط .

بل ان أعظم الأضرار على الدين أن ينشأ فى الأمة علماء اللسان المنافقون كما قال صلى الله عليه وسلم : (أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان) .

بل ان المنافق عليم اللسان قد يكون أشد ضررا من الشيطان نفسه كما قال تعالى **﴿واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان يحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾**[٦٠]. فانظر كيف أصبح العالم الفاسد استاذا للشيطان وكيف أصبح الشيطان تابعا له، لا متبوعا وذلك أنه قد يهتدى الى أساليب فى الشر والغواية لا يعرفها الشيطان نفسه .

ومن أجل ذلك كله قلنا ان من أصول وحدة الأمة، وجمع كلمتها، ولم شعثها أن تحرص على ايجاد العلماء العاملين المؤمنين المتقين، الذين يراقبون الله فى اجتهادهم وفتاواهم وأن ينزاح عن صدر الأمة كل منافق عليم اللسان . وبهذا يسهم العلماء المخلصون، والأئمة الحقيقيون المتجردون لله الذين يشهدون شهادة الحق دائما، ويكون قيامهم لله خالصا وهؤلاء هم الذين يسهمون فى جمع كلمة الأمة ووحدتها، وتوحيد صراطها .

---

(١) من سورة الاعراف الآيتان ١٧٥ ـ ١٧٦ .

وكذلك أيضا جعل الله سبحانه وتعالي معاداة المسلم وقطيعته، وظلمه والعدوان عليه، عدوانا على الله سبحانه وتعالى وبعدا عن الهداية والدين . .

والحق أن من يدقق النظر فى هذا الصدد يجد أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الدين مودة وأخوة ومحبة بين المسلم وأخيه المسلم، بل ان الله سبحانه وتعالى من رحمته واحسانه لينزل نفسه فى الخطاب منزلة العبد كما جاء فى الحديث القدسى : **(ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى . قال : يارب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين. قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده. أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن آدم! استطعمتك فلم تطعمنى)**[1]. أليس هذا من أعجب الأمور أن يجعل الرب سبحانه وتعالى ذاته العلية مكان المسلم المحتاج والسائل الفقير، والمريض المتطلع الى زيارة اخوانه . . . ثم يتكفل سبحانه وتعالى بنفسه بالجزاء والعطاء لمن فعل ذلك .

ان هذا أمر عظيم جدا ينبئك أين وضع الله سبحانه وتعالى مودة المؤمن للمؤمن، ومحبته له، ومساعدته له، والعكس تماما حيث جعل الله العدوان على المسلم عدوانا على ذاته العلية وجواره، وذمته . فقال سبحانه **(من عادى لى وليا فقد آذنته بالمحاربة)**[2] .

---

(١) أخرجه مسلم عن ابى حربدة .

(٢) أخرجه البخارى .

سابعا : الاخوة والموالاة :

ومن الأمور العظيمة التى أفسدت على المسلمين أخوتهم ووحدتهم ومزقت شملهم، وفرقت جمعهم أنهم لم يتلزموا بآداب الأخوة الاسلامية، ولم يتقيدوا بأحكامها. علما بأن الله سبحانه وتعالى قد بين أصرل هذه الآداب فى كتابه الكريم، وجاءت السنة الشريفة مبينة موضحة لكل تفاصيلها. ولا يوجد عند أمة من الأمم ولا شعب من الشعوب ماعند أهل الاسلام من تراث فى هذا الصدد، بل الاسلام فى مجمله رسالة أخلاقية ماجاءت الا لاقامة المجتمع الصالح الذى يتحاب أفراده، ويتعاونوا وتختفى بينهم الأثرة والطمع وكل مظاهر الفرقة والشقاق ويكونون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر أن الله تبارك وتعالى قد جعل مودة المسلم للمسلم ومحبته له، دينا يتقرب به اليه، ويعبد الله به. فالتحابب فى الله بين المسلم والمسلم قربة اليه سبحانه وتعالى وكل مايؤدى الى ذلك من افشاء السلام، واطعام الطعام، والزيارة، والاكرام والرحمة والتوقير، وستر المسلم، ومعونته، والأخذ بيده، والسعى فى حاجته، وعيادته مريضا، ومواساته فى احزانه، والتخفيف من آلامه، والفرح لفرحه، والنصح له.

كل ذلك من أفضل مايتقرب به العباد الى ربهم سبحانه وتعالي، ومعلوم أن حاصل ذلك وغايته هو وجود الأمة المتراحمة المتآلفة المتحابة. .

التدين المغلوط الذى يعتقد أصحابه أن الالتزام بالدين انما يكون فقط بأداء حقوق الله من الصلاة والصوم والحج والزكاة . .

مهملين اهمالا قد يكون تاما حقوق العباد، بل قد يكون الرجل الذى يدعى الدين من أهل الظلم والبغى والفساد فتراهم آكلين لأموال غيرهم بالباطل، منتهكين حرمة المسلم لا يعبأون بظلمه أو غيبته أو عهده، أوأخذ حقه، ولا يجدون من القربة الى الله مساعدة المسلم ومعاونته وستره، بل قد يرون هذا مسقطا لمرؤتهم قادحا فى شرفهم منزلا من مكانتهم . . فيخشى احدهم أن يرى مع فقير أو يأخذ بيد محتاج، أو أن يقف مع مظلوم . . وقد يرى الدين والمكانة والشرف احتقار الناس وازدراءهم والتعالى عليهم وللأسف أن يكون بعض هؤلاء ممن ينسبون الى العالم، ويأخذ الناس عنهم الدين . .

ان هذا التدين المغلوط، والدين المبتور الذى يفرق بين الحقوق التى لله وحقوق العباد قد أصبح آفة أهل الاسلام فى الوقت الحاضر، لأجل ذلك فسدت معاملاتهم ومرجت عهودهم، وانتقض اجتماعهم وائتلافهم وأصبحوا أمثولة بين الناس، فى فساد الذمم والتقاطع، والتدابر، والتشاجر، وفشوا الكذب والخيانة، واللصوصية، والتعدى على الغير . مما لا يوجد مثله ـ للأسف ـ ولا قريبا منه فى أمم الكفر والضلال الذين ينشأ بينهم نوع من التعامل المستقيم فى حياتهم الدنيا، حيث يحقرون الكذب والخيانة، ويمجدون الصدق والأمانة ومن أجل ذلك كانت معاملاتهم الدنيوية، ومجتمعاتهم أحسن حالا فى

وقال صلى الله عليه وسلم **(من صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء)**[1].

وقال صلى الله عليه وسلم **(لعن المؤمن كقتله)**[2]، وقال **(أيما أمرئ قال لأخيه: كافرا فقد باء بها أحدهما، ان كان كما قال، والا رجعت اليه)**[3].

والآيات والأحاديث فى هذا المعنئ كثيرة وكلها شاهدة أن العدوان على المسلم صغيرا أو كبيرا عدوان على الدين وموجب للعقوبة، وحصول سخط الله وغضبه.

والخلاصة أن الأخوة دين.. بل لا دين الا بأخوة.. كما قال صلى الله عليه وسلم: **(لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا.. أفلا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم.. أفشوا السلام بينكم)**[4].

وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم قتال المسلم للمسلم كفرا فقال صلى الله عليه وسلم: **(لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)**[5] وللأسف الشديد العظيم الذى هو بهذه المثابة فى تثبيت أركان الأخوة فى الله لم يلق من أتباعه والمنتسبين اليه الا اهمال هذا الأصل العظيم ـ الا من رحم الله ـ ولقد نشأ بيننا

(١) أخرجه مسلم عن جندب البجلى.
(٢) أخرجه البخارى ومسلم عن ثابت بن الضحاك.
(٣) أخرجه مسلم عن ابن عمر.
(٤) رواه مسلم عن ابى هريرة.
(٥) أخرجه البخارى ومسلم عن جرير.

التنفيذ، ولابد من النظر الى الأخلاق فى الاسلام، على أنها دين بل لا دين بغير أخلاق، بل الدين هو صالح الأخلاق كما قال صلى الله عليه وسلم: **(انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)**[1].

ولا شك أن الأخلاق قضية واحدة لا تتجزأ كما قال صلى الله عليه وسلم: **(لا يشكر الله من لا يشكر الناس)**[2]. فمن كان الجحود عادته ودينه مع الناس فلا شك أنه كذلك مع الله أيضا، ومن كان كاذبا مع الناس فلا يمكن أن يكون صادقا مع الله، ومن كان خائنا لعباد الله فكيف يكون أمينا ومؤمنا بالله؟..

وكذلك فان الذى يحب الله يحب عباد الله، والذى يرجو رحمة الله لا يمكن أن يكون ظلوما لعباده وأحبابه.. ومن كان حريصا على دين الله لا يمكن أن يكون مبغضا لأنصار هذا الدين ومن يعلون مناره وينشرون أحكامه..

ومن أجل ذلك قال صلى الله عليه وسلم: **(آية الايمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار)**[3] فالمؤمن بالله المحب لدينه يجد لزاما فى قلبه أن يحب من نصر الدين.

وأما الكافر الذى يكره الدين، ويبغض رب العالمين فانه كذلك يبغض كل من أعلى منار الدين وساهم فى رفع شأنه ومن هذا تعلم السبب الذى حمل الشيعة الرافضة على بغض أصحاب رسول الله

---

(١) أخرجه البخارى فى الادب المفرد وابن سعد والحاكم والبيهقى عن ابى هريرة وصححه الالبانى في صحيحه (٤٥).
(٢) أخرجه احمد وابو داود وابن حبان عن ابى هريرة وصححه الالبانى فى صحيحه (٤١٦).
(٣) أخرجه البخارى ومسلم عن انس.

بعض جوانبها من مجتماعاتنا الاسلامية التى اهملت اهمالا عظيما ماشرعه الله سبحانه وتعالى من أصول المودة والأخوة والموالاة، وقواعد التعامل القائم على الطهارة الأخلاقية والاستقامة، والصدق والأمانة والعفاف وأعجب مرة ثانية وثالثة.. من أمة جعل الله معاملات بعضها مع بعض دينا وقربة، وجعل الكلمة الطيبة يلقيها المسلم للمسلم حسنة وأجرا، ثم يكون حالها على هذا النحو.

ألم يقل رسول الله **(الكلمة الطيبة صدقة)**[1]، ألم يقل: **(لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)**[2].

ألم يقل **(يامعشرالنساء لا تحقرن جارة أن تهدى جارتها ولو فرسن شاة)**[3]!! والفرسن: هو ظلف الشاة.. ألم يقل صلى الله عليه وسلم **(لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)**[4]. أدين تكون هذه هى تعاليمه، وأخلاقه ثم يكون هذا الذى نراه هو ناتجه وثماره.. أليس هذا أعظم دليل على أن أمتنا اليوم ـ الا القليل القليل ـ أنها تفهم الدين ولا تطبقه أو أنها قد جهلته ولم تعرف حدوده؟.

أنه من أجل وحدة الأمة ورأب صدعها، وجمعا لكلمتها فلابد كذلك من وضع قواعد الأخوة، ونظام التعامل فى الاسلام موضع

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن ابى هريرة.
(٢) أخرجه مسلم عن ابى ذر.
(٣) أخرجه البخارى ومسلم عن ابى هريرة.
(٤) أخرجه احمد وابن حبان عن انس وصححه الالبانى فى ص. ج. ص (٧٠٥٦)

ثامنا : ترشيد جهاد الجماعات الاسلامية :

نشأت بسبب سقوط الخلافة، وتمزق أوطان المسلمين، وقيام الحكومات الاقليمية، وانصراف كثير من هؤلاء الحكام الى المصالح الدنيوية فقط دون الاهتمام بشؤون الدين.. نشأت بسبب ذلك كله فكرة الجهاد الجماعى وذلك من أجل سد هذه الثغور التى فتحت على الأمة الاسلامية، ومن هذه الثغور تعليم أبناء المسلمين الاسلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ونشر الفضيلة والأخلاق والعناية ببناء المساجد، واقامة الصلوات وإيتاء الزكاة وكل هذه الأمور أهملتها الحكومات المختلفة.

ولما كانت هذه الفرائض لا يغنى فيها جهاد الأفراد ولا يجدى فيها بذل الواحد والاثنين، وعمل الناس متفرقين.. فانه نشأ بسبب ذلك الدعوة الى الجهاد الجماعى فانشئت الجمعيات والجماعات الاسلامية سرية وعلنية، رسمية وغير رسمية من أجل القيام بهذه المهمات، والتصدى لهذه المشكلات التى اضاعتها الحكومات...

ولا يشك منصف أنه كان لهذه الجمعيات والجماعات ومازال فضل عظيم فى نشر الاسلام ونهضة المسلمين، والذود عن حياض الدين، ولا شك ان التدين الصحيح الذى نراه اليوم هنا وهناك ماهو الا ثمرة لجهاد هذه الجماعات والجمعيات، وأثر من آثار هذا الجهد المنظم الذى لولاه.. لكانت حالنا اليوم غير مانحن فيه من بعض حياة، وبقية حشاشة.

صلى الله عليه وسلم وكل مخلص لهذا الدين، أنه كراهية الدين نفسه وبغضهم لله جل وعلا والا فمن أحب الله أحب أولياءه، ومن أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أحبابه وأصحابه. أما من ادعى محبة الرسول وهو يبغض أولياء الرسول وأحباب الرسول فهو كاذب ولا شك فى ذلك.

والحاصل أننا الآن أمة متفرقة ومن أسباب تفرقنا اهمال الجانب الأخلاقى العملى، فهو اما عامل ثانوى عند بعضنا، واما مهمل اهمالا كاملا عند آخرين.

والحق أنه هو الدين، بل لا دين الا باخلاق واجتماع على أخوة فى الله ومحبة فى سبيله.

وذلك كدفع عدو غزا ارض المسلمين، فلا لا يتم دفعه الا باجتماع وجماعة وأمير ونظام . . فيكون التجمع والجماعة والأمير والنظام هنا واجبا فرضا لأنه لا يتم الواجب الا بذلك .

وكذلك الحال فى فروض الكفايات هذه التى ضيعها اكثر حكام المسلمين كنشر الاسلام، وتعليم المسلمين، واقامة المساجد، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والذب عن دين الاسلام .

لا شك أن كل ذلك لا يأتى الا بجماعة ونظام ومادام لا يتم الا بذلك فيكون النظام والجماعة واجبين من أجل ذلك .

وأعود فأقول ان المنهى عنه شرعا هوالتعصب للجماعة والانتصار لرأيها حقا وباطلا . ومن أجل ذلك قلنا هنا أنه يجب ترشيد عمل الجماعات الاسلامية حتى تتمحص الايجابيات وتختفى السلبيات ويكون هذا الترشيد كما يلى :

١ ـ الاعتقاد بأن نصر الدين، واعادة المسلمين الى سلم المجد واقامتهم على الحق واعلاء كلمة الله فى الأرض كل ذلك لا يكون الا بتضافر جهود العاملين جميعا فى حقل الدعوة، وتعاونهم وتآزرهم وتآخيهم، وهذا التعاون لا يمنع التنافس الشريف، والتسابق فى الخير والهدى والبذل والتضحية، كما كان شأن الأوس والخزرج، وبين الصحابة أنفسهم، كل يسابق الآخر، ويريد أن يسبقه، وكل يقدم ما يستطيع من أجل نصر الدين، واعلاء كلمة رب العالمين .

ولا يشك منصف كذلك أنه كان لهذه الجماعات والجمعيات بعض الآثار السلبية ومن هذه الآثار ايجاد نوع من الفرقة والخصام. والتنافس المذموم والتعصب للجماعة الأمر الذى أسهم أسهاما ما فى فرقة الأمة الاسلامية.

وللأسف فإن بعض من يرى هذه السلبيات، ويعمى عن الحق الذى من أجله قامت هذه الجماعات قد أفتى بان التجمع لأمر الدعوة، والاجتماع تحت مسمى من هذه المسميات غير مشروع ظنا فى زعمه أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعل هذا وأن هذا يؤدى الى الفرقة والخصام.

ألا ترى أن اتباع كل امام من أئمة الفقه انتصروا لامامهم، ونصروا فقهه ورأيه.. وأنه وقعت بينهم مشاحنات ومخاصمات.. أيكون هذا سببا لالغاء المذاهب الفقهية، وامامة الدين، وعدم جواز النسبة لامام من أئمة الفقه والعلم، والتفقه على فقيه بذاته، وتدوين علمه وأقواله والانتساب اليه، وانما الذى لا يجوز هو التعصب له، ورد الحق من أجله، وجعل قوله هو المرجع النهائى فى الدين دون قول الله وقول رسوله، واجماع المسلمين.

والخلاصة أن النسبة والتميز جائز فى حد ذاته مادام يراد به التعاون على البر والتقوى والتجمع على ما أباحه الله أو فرضه أو حث عليه.. بل ان التجمع يكون واجبا اذا كان لأمر لا يتم الا بالتجمع عليه، من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب.

٢ ـ افساح المجال للنقد البناء، وكشف الأخطاء، والاستفادة من تجارب الماضى ومن سقطات الدعاة من أجل أخذ العبرة والذكرى وعدم تكرر هذه الاخطاء، وحتى لا تصبح أخطاء الدعاة، وسقطات الجماعات جزءا من المنهج. ويظنها الناس عملا صالحا وأمرا متحررا فتتحول البدع والأخطاء الى معالم على طريق الدعوة، وكمالات عند الدعاة.

٣ ـ انتهاج طريق الاصلاح لما افسده المفسدون والابقاء على المصالح من بناء الأمة، وترميم ماهو آيل الى السقوط، وبذلك ندعم البناء، ونجدده شيئا فشيئا. . ولا يمر زمن يسير حتى يكون البناء الاسلامى قد استكمل استواؤه وتجددت عمارته. . وأما طريق الهدم للأمة، ومحاولة البناء من جديد فهى طريقة تخريبية، ستؤدى، وقد أدت فعلا الى هدم ماهو قائم الآن من بناء الأمة وجعلها كلها فى العراء، وكشفها لأعدائها وخصومها، بل معاونة هؤلاء الأعداء فى الاجهاز على البقية الباقية من حشاشة الأمة.

هذه باختصار شديد. . الخطوط الأساسية لحركة ترشيد البعث الاسلامى، والله الموفق الى مزيد من السداد والرشاد وهو المعين على استكمال المنهج وايضاح الطريق لشباب الاسلام، وهو المسؤول أن ينصر الاسلام والمسلمين، وأن يأخذ بأيدينا الى الحق والصواب. .

والحمد لله رب العالمين. . . .

الفصل الرابع :

تجربة دولة صلاح الدين الأيوبى
فى تحقيق الوحدة الإسلامية

ويتضمن :

- التوحيد السياسى للبلاد الإسلامية
- الأوضاع العامة وحالة صلاح الدين
- الحروب الصليبية
- الوحدة الثقافية والتعليمية
- توحيد العقيدة الإسلامية للمسلمين فى الدولة الأيوبية
- اقتصاد الدولة الأيوبية ودوره فى ترسيخ الوحدة الإسلامية.

بقلم: محمد محمد أحمد كرار

المعاصرة (اليوم انتهت الحروب الصليبية) مشيرا بذلك إلى عودة (الافرنج) الجدد واستيلائهم على القدس بعد أن حررها صلاح الدين عام ١١١٨م».

ودخل القائد الفرنسى غورو إلى دمشق، مزهوا بقوة الحملة الجديدة، وكان أول عمل له أن توجه إلى قبر صلاح الدين، ولعله طار بخياله، أيضا فتصور أنه من أحفاد (غورو) (ودبويون) و(كندفرى) أو (قندهرى)، من قادة الحملة الفرنسية الأولى فأطلق بدوره مقولة حفظتها قلوب أبناء الشام ونقلتها إلى العالم وأورثتها إلى الأجيال، وهى «لقد عدنا ياصلاح الدين». ونسى القائدان الاستعماريان «ألينبى وغورو» انهما افترضا بأنهما من أحفاد قدامى الفرنج الصليبيين فإنه لابد من وجود أحفاد لصلاح الدين أيضا، يحفظون ذكراه ويقتدون بسيرته، ويعملون على نهجه ويؤمنون بما كان يؤمن به» انتهى بسام.

لقد كان وقع قيام الدولة الأيوبية وما أنجزته من انجازات على العالم الإسلامى وغير الإسلامى كبيرا، ولقد كانت نتائجه وآثاره على المسلمين والإسلام، عظيمة وباقية وممتدة إلى يومنا الحاضر، من هنا فإنها تجربة جديرة بأن تولى أقصى درجة من الدراسة والتعمق فى سر أغوارها، وأغوار مؤسسيها، حتى تزداد الفائدة وتزدان مسيرة الأمة الإسلامية الحاضرة بمواقف الخالدين.

ولنتأمل توفير الدولة الإيوبية لكل مقومات الوحدة الإسلامية الشاملة ونتدارسها بجدية، فقد توفرت فى تلك التجربة العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية، ان ادراك صلاح الدين لتوفر تلك العوامل فى تحقيق الوحدة الإسلامية يوضح قوة وثراء تلك التجربة، فما أحرانا اليوم ونحن تحيط بنا المشاكل أن نلتمس

المقدمة :

إذا كان هناك العديد من التجارب العالمية فى تحقيق الوحدة، فإن التجارب الإسلامية فى هذا المجال أثرى وأعمق، رغم بعد المسافة بين تاريخ ووقائع تلك التجارب وحاضرنا اليوم، إلا أن التجارب الإسلامية تبقى كلها قائمة على أساس توفر الحد الأدنى من الاتفاق على تطبيق الشريعة الإسلامية.

وأمامنا فى هذا البحث تجربة الدولة الإسلامية الأيوبية التى أسسها السلطان صلاح الدين الأيوبى، رغم فارق الزمن، إلا أنه بمقاييس الحضارة الإنسانية فى ذلك الزمان، فقد هدف صلاح الدين فى كل حركته التى انتظمت العالم الإسلامى خلال ثلاثة عقود من الزمان ويزيد، هدف إلى توحيد الأمة الرسلامية والدولة الإسلامية، فى كيان واحد كامل شامل، وكان يدرك أهدافه وينتقى وسائله، ويحسب خطواته ويعرف أين يضع قدميه، وفى كل ذلك كان قلبه معلق بربه ومولاه، يتقيه ويخشاه ويجدد نيته إليه محتسبا فى سبيله كل مالاقاه.

وإذا كانت التجارب الإسلامية فى الوحدة عظيمة وكبيرة وقوية، إلا أن أكثرها تأثيراً حتى اليوم، هو تجربة صلاح الدين الأيوبى، ولمعرفة هذا البعد فى الدولة الأيوبية، إليك هذه الكلمات التى أوردها بسام العسيلى فى كتابه صلاح الدين الأيوبى، يقول:

«دخل الجنرال ألينبى إلى القدس عام ١٩١٨م يتيه فخرا بقوة الامبراطورية البريطانية، ونظر إلى القبة (الصخرة) الشريفة ثم إلى ثالث المسجدين الشريفين (المسجد الأقصى) وجنح بخياله بعيدا فى أعماق التاريخ وتصور أنه وريث يوهمند النورماندى أو وريث رتشارد قلب الأسد فأطلق مقولته المشهورة التى حفظتها الأجيال

صلاح الدين وعمه من قلعة تكريت إلى الموصل، حيث عينهما وإليها عماد الدين زنكى فى إدارة جيشه لأنهما ساعداه على النجاة من مطاردة السلجوقيين له عقب حربه معهم وانسحابه للموصل عن طريق تكريت، ولما سقطت (بعلبك) فى يد عماد الدين زنكى عين عليها والد صلاح الدين الأيوبى.

فى بعلبك نشأ صلاح الدين وتعلم الفروسية وفنون الحرب والقتال والجهاد، كما مارس السياسة وتدبير الأمور، وبعد استيلاء نور الدين بن عماد الدين زنكى على دمشق، قضى أياماً طيبات أظهرت مواهب ومهارات صلاح الدين القيادية، بجانب غيرته الشديدة على الإسلام والمسلمين، أدى لإسناد رئاسة الشرطة إليه فبسط الأمن والطمأنينة فى المدينة، لكن أكثر الأدوار التى أداها وكشفت عن أصالة معدنه وحنكته، تلك التى كانت فى مصر.

الأوضاع العامة فى الدويلات الإسلامية :

كانت مصر قبل صلاح الدين تحيط بها أطماع ملك الشام نور الدين محمود وملك المقدس الصليبى أمورى، بينما تمور داخلها صراعات وثورات، ورغم أن مصر كانت تحكمها الدولة الفاطمية، إلا أن نفوذ المماليك من الأتراك والسودانيين والمغاربة والشركس كان طاغيا، فى الوقت نفسه كانت تعانى من الأزمات الاقتصادية وانعدام الأمن والطمأنينة، ذلك لضعف الخليفة الفاطمى الذى كان أمر حكم البلاد فى يد وزرائه والمماليك والقادة.

قتل الأمير ابن رزيك الذى كان الأمل معقودا عليه لاستقرار حال البلاد، فعمت الفوضى من جديد واستمر الصراع حول الوزارة، كان

الهدى فى دولة قامت على أساس دين الهدى.

فى هذا النموذج الذى أمامنا، نجد أن الوحدة الإسلامية تحققت على يد واحد من غير العرب المسلمين، كردى وحد البلاد الإسلامية تحت قيادته الرشيدة، بعد أن كانت شتاتا وشلوا ممزقا، جمع الناس على شريعة الإسلام وقدوته فى ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم (حارب وصالح وفتح وعاهد باسم الإسلام ولاعلاء كلمة التوحيد، استمسك بعروة الإسلام الوثقى، ان حركة الإسلام قد شهدت عقب إلتحاق المصطفى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى قيام الدولة الإسلامية الواحدة عدة مرات، فعقب الخلافة الإسلامية الراشدة، قامت دولة بنى أمية، والدولة العباسية، وكانت دولتا بنى أمية وبنى العباس، تتعرضان للاضمحلال والتفكك ثم يقيض الله لأمة المسلمين من يجدد الدين ويحيى السنة ويوحد الأمة.

لقد شهدت الدولة العباسية فى عهد قيام الدولة الأيوبية تمزقا وضعفا شديدا، لكنَ الله أمد أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم بصلاح الدين الأيوبى.

التوحيد السياسى للبلاد الإسلامية :

ولد السلطان صلاح الدين الأيوبى فى عام ٥٣١هـ الموافق ١١٣٧م، فى قلعة تكريت القريبة من مدينة بغداد فى العراق، على نهر دجلة، جعل أحد رؤساء شرطة الدولة السلجوقية، اسمه مجاهد الدين بهروز، والد صلاح الدين الأيوبى حاكما على قلعة تكريت ونصب معه أخاه أسد الدين مساعدا له فى إدارة القلعة، هاجر والد

اختبار حينما هاجمه الصليبيون فى الاسكندرية وحاصروه برا وبحرا، بمساعدة الاسطول البيزنطى وكان الحصار قويا لكن حنكة صلاح الدين جعلته يصمد حتى ينجده عمه أسد الدين ويتم صلح بين الطرفين وينسحبان معا من مصر. لكن الملك الصليبى ما أن تأكد من انسحاب وابتعاد جيش أسد الدين من مصر، حتى عاد واحتل (بلبيس) وتقدم نحو الفسطاط التى حرقها الوزير شاور، ولما تقدم الصليبيون نحو القاهرة وحاصروها فاوضهم شاور وماطلهم حتى وصلت نجدة أسد الدين وصلاح الدين، وبعد وصولهما انسحب الصليبيون ودخل أسد الدين القاهرة حيث نصب وزيرا بعد مقتل شاور السعدى فى مؤامرة. لكن لم يمض شهران حتى مات أسد الدين.

بعد موت عمه نصبه الخليفة العاضد وزيرا رغم صغر سنه. لكن صلاح الدين بحنكته وعلمه اكتسب ود المصريين. وزاده نجاحه فى دحر الصليبيين فى معارك دمياط وغزة وتأمين مدينة العقبة وطريق الحجاج فى البحر الأحمر فاكتسب ثقة المصريين وذاع صيته، هنا كثر حساده والحاقدون عليه مما جعل الكثيرين يتآمرون عليه، كان من أبرز تلك المؤامرات:

١- مؤامرة مؤتمن الخلافة نجاح.

٢- مؤامرة عمارة اليمنى.

٣- مؤامرة كنز الدولة.

ورغم الصعاب التى تخطاها القائد صلاح الدين حتى وصل لسدة السلطة، إلا أن أخطر الصعاب وأعلاها شأنا كانت حروبه مع الصليبيين الذين راقبوه جيدا وهو يتولى الوزارة فى الخلافة

من ضمن ذلك الصراع تولى شاور بن مجير السعدى الوزارة للخليفة الفاطمى العاضد. لكن الوزير شاور لم يحسن صنعا، فتواطأ عليه القائد ضرغام بن عامر اللخمى مع الخليفة وطرده ونصب نفسه وزيرا. وفر شاور إلى دمشق حيث ساعده - بعد لأى - الملك نور الدين محمود لما علم بهجوم الملك الصليبى أمورى على وزير مصر ضرغام. كان قائد نجدة شاور من قبل الملك نور الدين، هو أسد الدين عم صلاح الدين الأيوبى وكان معه فى تلك النجدة البطل صلاح الدين نفسه، وحقق صلاح الدين وعمه النصر على ضرغام ونصب شاور وزيرا من جديد. لكن شاور الذى كان قد التزم لنور الدين بدفع نفقات حملة استعادة وزارته، وعطية سنوية لنور الدين، لم يف بوعده، بل حالف الملك الصليبى فى بيت المقدس سرا. هنا حاربه أسد الدين وابن أخيه صلاح الدين فى معركة بلبيس بمصر حيث طالت المعركة فاستغل الملك نور الدين اشتغال ملك بيت المقدس بمعركة بلبيس وفتح حصنى (بانياس وحارم) فاضطر ملك بيت المقدس إلى مفاوضة أسد الدين وتوصلا لهدنة بينهما على أساس انسحاب الملك الصليبى من مصر وتركها لأهلها.

كان أسد الدين يرى أنه لابد من ضم مصر للشام إذا أرادوا الانتصار على الصليبيين فأخذ يحرض الملك نور الدين ليسمح له بفتح مصر حتى قبل الملك وجرد حملة على رأسها أسد الدين وفيها ابن أخيه صلاح الدين. هنا استنجد الوزير شاور بحلفائه الصليبيين ودارت بينهما معركة (المنيا) حيث انتصر أسد الدين وأظهرابن أخيه صلاح الدين شجاعة وقدرات خارقة فى القتال. وزحف الجيش شمالا حيث استولى على الاسكندرية وهنا أدى صلاح الدين أول اختبار له فى الحكم حيث عين واليا على الاسكندرية. وصمد لأول

للاستعانة به ليتولى أمرهم وينقذهم من هذا الشتات، استجاب صلاح الدين فورا لدعوة أهل الشام وجرد جيشه ردخل دمشق حاضرة الشام التى دانت له بسرعة وترحاب من أهل الشام. وكان أول ما فعله هو توزيع أموال قلعة دمشق الكثيرة، على الفقراء والمساكين. ثم جلس فى دار العدل يرفع المظالم ويعيد الحقوق إلى أهلها.

بعد أن انتهى من فتح دمشق اتجه صلاح الدين إلى حمص وحماه وحلب ففتحها بعد صراع مرير مع أمرائها والملك الصالح الذى حاول الاستعانة بابن عمه سيف الدين والى الموصل. ورغم محاولات فرقة الاسماعيلية الباطنية لاغتياله غدرا، كما حاول الصليبيون فى بيت المقدس اغتنام ما عاشه صلاح الدين من مؤامرات وحروب للاصطياد فى نفس الماء العكر. لكنه كان يردهم خائبين كل مرة كما أن بقايا أمراء الملك نور الدين لم يكفوا عنه حسدا من عند أنفسهم لهذا الشاب الذى يدافع عن عقيدته وملكه. وبعد جولات وصولات استطاع السلطان صلاح الدين أن يقهر أعداءه ويصل إلى صلح مع الملك الصالح أصبح بموجبه سيدا على دمشق وحمص وحماه والمعرة وماجاورها من البلاد والمدن والقلاع وبقى للملك الصالح حلب فقط.

هنا رجع صلاح الدين إلى مصر ليوليها بعض اهتمامه وينظم أمورها. وفى مصر يأتيه نبأ وفاة الملك الصالح وتولى أخوه عماد الدين ملك حلب لكن صلاح الدين استطاع أن يفتح حلب وسط ترحاب الأهالى به.

وفى تلك الأحداث كان القائد صلاح الدين يواجه مؤامرات الفرق الإسلامية الضالة مثل الاسماعيلية ومؤامرات القوى الصليبية

الفاطمية، واستعان الصليبيون فى بيت المقدس بتأليب الصليبيين فى صقلية والأندلس، فكانت معركة (دمياط) التى هاجم صلاح الدين عندها وأصلاهم بنار جنوده ثم أرسل للملك نور الدين يستعين به. فما توانى نور الدين فأرسل الحملة تلو الحملة من الشام لمصر. ثم سار هو بنفسه يحاصر الصليبيين فى الشام وفلسطين. هنا تراجع الصليبيون وانسحبوا من مصر.

ثم عاود الصليبيون أطماعهم فى مصر، فهاجموها بعد خمس سنوات من معركة دمياط حدث ذلك من أهل صقلية فى مدينة الاسكندرية. لكن صلاح الدين استطاع ان يدمر الأسطول الصليبى ويبدد شملهم، ثم استمر صلاح الدين فى سياسته الحكيمة فى إدارة البلاد المصرية. فكان ان احتفظ بعلاقته الجيدة مع الملك نور الدين وحفظ له جميله عليه. فأقام الخطبة له فى المساجد وضرب النقود باسمه، واستمرت العلاقة بينهما جيدة رغم محاولات الموتورين إلى أن توفى الملك نور الدين عام ٥٦٩هـ.

تولى الملك بعد نور الدين ابنه الصغير الملك الصالح اسماعيل وكان وصيا عليه شمس الدين بن المقدم. وقد أغرى هذا الأمراء فى مملكة نور الدين فحاولوا الاستقلال بولاياتهم، كما ان الملك سيف الدين ابن عم الملك الصالح ووالى الموصل استولى على أجزاء المملكة فى الجزيرة وهكذا عمت الفوضى والانقسام وتشتت وحدة الشام، حتى ان شمس الدين ابن المقدم هادن الصليبيين.

واصل صلاح الدين ولاءه للملك الصالح بعد الملك نور الدين وكان يعلم بكل مايجرى فى مملكة الشام دون أن يبدى تدخلا خشية أن يساء فهم موقفه، بأنه طامع، لكن بعض أهل الشام ازاء هذا التردى فى أوضاع بلادهم، أخذوا يراسلون صلاح الدين سرا

ومحاولات الأمراء والملوك الذين أخضعهم صلاح الدين لسلطان الدولة الاسلامية الأيوبية الواحدة. وهذه القوى كانت فى كل صراعاتها تهدف لضرب محاولاته لتحقيق الوحدة الإسلامية بين العراق والشام ومصر.

بعد الشام توجه صلاح الدين بهمومه إلى بلدان إسلامية أخرى. فقد كانت الطوائف والقبائل باليمن تشهد صراعا مريرا وتقتيلا فيما بينها. وهى من ثم تهدد وحدة المسلمين بالخطر، أرسل إليهم صلاح الدين أخوه نوران شاه وفتحها وضمها للدولة الإسلامية الكبرى الواحدة. وقد ساعده اليمنيون فى ذلك، لما كانوا يلاقونه من آثار الفرقة والتناحر، ثم بعد أن انتهى صلاح الدين من أمر توحيد وضم اليمن، اتجه غربا لبلاد المغرب العربى ففتح برقة وطرابلس وقابس فى المغرب.

بهذا يكون صلاح الدين قد وحد البلاد الإسلامية من أقاصى العراق والشام إلى أدنى اليمن وافريقيا ومصر والمغرب العربى ولم يبق للصليبيين غير امارة بيت المقدس. ولما كان هاجس الوحدة الإسلامية، هو هاجسه، فقد كان يحفظ للخليفة العباسى المستضىء فى بغداد الشكل العام والراية القومية، كما حفظ من قبل للسلطان نور الدين بن زنكى ذلك الفضل. فالرجل لم يكن طامعا فى ملك الدنيا. بل كان طامعا فى أن يرى الأمة والدول الإسلامية تحقق قوتها جميعا تحت راية لاإله إلا الله. وقد كان يرى فى الخطر الصليبى أكبر مهدد للوحدة الإسلامية، والعدو الأساسى للمسلمين.

ساحل البحر الأبيض من الاسكندرية حتى عسقلان.

وكان سر انتصار الصليبيين هو تفرق المسلمين وتقاتل امرائهم وملوكهم، فبين الاخوة السلاجقة قتال، وبين ملوك الشام قتال وتنازع على السلطة، وبين بقية الدول الإسلامية قتال وخصام واستعانة بالصيبيين لتفتت وحدة المسلمين. وللمرة الثالثة استغل الصليبيون تفتت وحدة المسلمين وجردوا حملة بقيادة لويس الرابع عشر ملك فرنسا وكونراد الثالث امبراطور ألمانيا، وحاولوا فى تلك الحملة فتح دمشق التى كان واليها نور الدين محمود، لكن نور الدين واجههم مما جعلهم يرجعون مدحورين.

معركة حطين

كما بينا فإن للصليبيين فى شن الهجوم على المسلمين وبعد أن قويت الدولة الإسلامية الأيوبية الواحدة، فإن أسباب صلاح الدين لقتال وطرد الصليبيين قد نضجت وقويت. وقد كان ينتظر سببا مباشرا، فوجده حينما اعتدى الملك ارناط أمير امارة (الكرك) على قافلة تجارية لصلاح الدين وأسر رجاله وسفه الإسلام والمسلمين ورسول المسلمين (صلى الله عليه وسلم). علم صلاح الدين بسب ارناط الصليبى لرسول الله (صلى الله عليه وسلم). فغضب غضبا شديدا، أقسم معه على قتله ان ظفر به حيا... وقد فعل. من هنا انطلق صلاح الدين سيفا مسلولا لله والاسلام، حتى فتح بيت المقدس وسقى الصيبيين كأسا مراً مزاجه الجهاد الإسلامى الحق.

جمع جيشه واعد جنده وعتاده ويمم شطر بيت المقدس ثالث المساجد التى تشد إليها الرحال ومعراج المصطفى (صلى الله عليه

الحروب الصليبية

الحقد الصليبى على الإسلام والمسلمين، كان له أكثر من سبب وأكثر من هدف، فالمسلمون الذين كانوا حفنة اعراب اجلاف محصورين فى صحراء الحجاز، جاءهم الإسلام وفتق فى نفوسهم بذرة اسمها الجهاد والفتح الإسلامى. فامتدت دولتهم من أقاصى الصين وروسيا إلى مجاهل أفريقيا وأوربا. فأصبح بيت المقدس فى بطن دولتهم، وسنابك خيلهم تطرق أبواب وحصون القسطنطينية حاضرتهم. كما كان لاستعانة بعض أمراء وسلاطين الدويلات الإسلامية بهم ضد السلاجقة الأتراك المسلمين، بل وضد صلاح الدين الأيوبى أحيانا، الدور الكبير فى أن يطمعوا فى المسلمين.

أول من دعا للحروب الصليبية هو الراهب الفرنسى بطرس الناسك والذى دعمه بابا روما حيث عقد مجمع (كليرمون) فى فرنسا وهو الذى قررت فيه الحروب الصليبية، وقرروا الانطلاق من مدينة القسطنطينية، وكانت أول حملة عام ٤٨٦هـ حيث شتتها السلطان السلجوقى قليج ارسلان لكنهم عادوا مرة أخرى بتدبير وتمويل الاقطاعيين والأمراء وقابلهم السلطان قليج ارسلان ودارت معهم معارك طاحنة استطاعوا فيها أن يستولوا على أنطاكية ومنها احتلوا بيت المقدس، وفى بيت المقدس أقام الصليبيون للمسلمين مجزرة لم يشهد أحد لها مثيلا فى ذلك التاريخ، ثم أسسوا إمارات على

من القدس بعد أن يفدوا أنفسهم.

كان أول يوم لخروج الصليبيين هو يوم الجمعة يوم الإسراء حيث أقام صلاح الدين صلاة الجمعة بعد أن ظلت غائبة عن المسجد الأقصى زمنا طويلا وهكذا تنفس المسلمون الصعداء وتطهر البيت المقدس، بيت الله المسجد الأقصى من دنس الصليبية الحاقدة، وفى هذا عامل معنوى لتوحيد الأمة.

ولم ينم الصليبيون بل جهزوا جيوشهم فى أوربا وعادت الحملة الصليبية الثالثة والتى شارك فيها امبراطور ألمانيا فردريك وملك فرنسا فيليب اغسطس وملك انجلترا ريتشارد قلب الأسد وحاصروا مدينة عكا، وحاول صلاح الدين أن يحاصر الصليبيين من الخارج لكن المدد كان يصلهم تباعا من أوربا، ودارت المعارك سجالا استطاع فيها الصليبيون أن يجبروا أهل عكا على الاستسلام وقبول الصلح (صلح الرملة)، ثم عاثوا فيها مفسدين وقتلوا ونكلوا بالناس من المسلمين ونسوا ما لقوه من معاملة كريمة عقب معركة حطين التى انتصر فيها صلاح الدين، وإلى هنا تراجع الصليبيون ولم يتقدموا بعد عكا ورجع ملوكهم إلى بلادهم.

وفى عام ٥٨٩هـ أسلم صلاح الدين الأيوبى الروح إلى بارئها مسجلا فى التاريخ صفحات بيضاء عن معانى الوحدة الإسلامية ودورها فى تحقيق غايات الأمة المسلمة ورسالتها -رحمه الله- وأجزل له المثوبة.

ان ماقام به السلطان صلاح الدين الأيوبى من إرساء دعائم الوحدة الإسلامية للبلاد الإسلامية التى كانت نهبا مقسما لشهوات وهفوات الأمراء المسلمين، كان هو العامل السياسى الأساسى الذى أدى إلى تحرير الأرض المقدسة بعد أن كانت تحكم من قبل الصليبيين نحو

وسلم)، وكان صلاح الدين يؤرقه استفحال أمر الصليبيين فى القدس الشريف، حتى انه كان مهتما غاية الاهتمام بهذا الأمر إلى درجة ملأت عليه كل حياته، خرج صلاح الدين فى جيشه من دمشق وسار إلى (البصرة) ثم إلى حصن الكرك والشوبك حيث فتحها وعاد إلى (طبريه).

هنا علم الصليبيون بما أعده صلاح الدين لهم فجمعوا جيوشهم وأعدوا عدتهم ثم توجهوا إلى طبرية أيضا وفى مكان اسمه حطين تقابل الجيشان وكان الجو حارا، وقد سبق صلاح الدين الصليبيين فى احتلال مواقع الماء، وكر عليهم صلاح الدين كرة رجل واحد بجيشه تساعدهم حرارة الشمس والعطش الذى أصاب الصليبيين، فتشتت شملهم وأعمل فيهم السيف تقتيلا حتى بلغ عدد قتلاهم عشرة آلاف وفر فرسانهم وجنودهم إلى تلال حطين فأصابتهم هزيمة نكراء، أسر على أسرها ملك بيت المقدس وارناط أمير الكرك موقد الشرارة. ولم ينس صلاح الدين قسمه بقتل ارناط فقتله بيده جزاء له على تعديه على الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم).

ثم توجه صلاح الدين إلى عكا فحاصرها وفتحها ثم سقطت الامارات الصليبية الواحدة تلو الأخرى، صيدا، الجبيل، بيروت، عسقلان، وبقى بيت المقدس فتوجه إليه الناصر لدين الله صلاح الدين الأيوبى وحاصرها حصارا قويا بعد ان احتل حولها بيت لحم، غزة، النطرون ولم يشأ صلاح الدين أن يفتح بيت المقدس عنوة، بل فضل أن يعيد سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى فتحها صلحا. لذلك أرسل للصليبيين يعرض الصلح على أساس أن يسمح لهم بالخروج منها بشرط فداء أنفسهم بالمال وبعد أسبوع استسلمت القدس وتم تنفيذ الاتفاق وشروط الصلح وأخذ الصليبيون يخرجون

الوحدة الثقافية والتعليمية

لأدراكه النافذ، أن العلم والثقافة واحدة من أدوات توحيد الأمة المسلمة، عمل السلطان صلاح الدين الأيوبى على الاهتمام بأمر الثقافة والتعليم فى شتى أنحاء الدولة الأيوبية، لذلك أنشأ الكثير من المدارس وكرم أهل العلم والثقافة والآداب والفنون، والمعارف، أنشأ لذلك كتاتيب تعليم القرآن والحديث والكتابة والقراءة والفقه والحساب كما سهل مهمة الشباب الذين يودون الاستزادة من العلم، فى أى بقعة من ديار المسلمين خاصة فى مكة والشام والعراق.

كذلك اهتم بعمارة المساجد وجعلها مثابات للعلم، ففى مصر أدت مساجد كثيرة هذا الدور الثقافى الرائد مثل مسجد عمرو بن العاص والجامع الأزهر والجامع الاقمر وجامع الحاكم بأمر الله، وجامع سيدنا الحسين، وفى الاسكندرية مسجد العطارين، وفى الشام جامع دمشق ودار الحكمة بطرابلس الذى كانت له صلات علمية وثقافية مع دار الحكمة بمصر، وكانت المدرسة السيوفية هى من أعظم منارات العلم والثقافة التى اعتنى بها صلاح الدين الأيوبى حيث أجرى لها الأموال وأوقف لها الأوقاف وبنى لها المبانى، وقد خصص المدرسة السيوفية للمذهب الحنفى، كما خصص المدرسة الصالحية على نفس النمط للمذهب الشافعى.

وعقب استرداده لبيت المقدس أنشأ مدرسة القدس وولى عليها

قرن من الزمان، وإذا كانت الأمة الإسلامية تعانى اليوم من الفرقة والشتات والانقسام فإن فى دروس دولة صلاح الدين الأيوبى عليه رضوان الله زادا للأمة كى تصل إلى ما تصبوا إليه من غايات، وفى هذا الاطار نود أن نؤكد على الحقائق التالية استنادا على الحركة السياسية فى الدولة الأيوبية.

(أ) كان منهج الحركة وفقهها السياسى الإسلامى هو الأسوة الحسنة للسلف الصالح فى حروبهم وسلمهم فى عدلهم وقضائهم وصلحهم وفتحهم وكان توجهها هو تجديد النية الخالصة لله سبحانه وتعالى ونصرة دينه الحق، فقد كان صلاح الدين الأيوبى يقتدى بهذه الأسوة الحسنة تكرارا وتجديدا للدين فى تلك المئة من السنين.

(ب) الوحدة الإسلامية كانت الهدف المنشود فى حركة صلاح الدين الأيوبى ولم يدخر وسعا فى اتباع كل الوسائل الممكنة لتحقيقها فكان موقفه من الامارات التى يقوم عليها مسلم أن يعرض الصلح والدخول فى مظلة الدولة الإسلامية الواحدة حتى إذا ما رفض هذا الأمير أو ذاك أنذره ثم قاتله حتى يكون الدين لله جميعا وتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى.

توحيد العقيدة الإسلامية
للمسلمين فى الدولة الأيوبية

صلاح الدين الأيوبى أقام دولة الإسلام الموحدة من داخل الدولة الفاطمية الآيلة للسقوط على كافة مستويات الدولة، ولما كانت العقيدة الإسلامية فى نفوس الناس قد أصابها الفساد نتيجة قيام الدولة الفاطمية على عقيدة التشيع لآل البيت حتى حد الاسراف والانحراف مع غياب منهج أهل السنة والجماعة تماما من حياة المسلمين فى مصر، هذا بجانب وجود الطوائف المنحرفة التى تدعى نسبتها للإسلام مثل الفرقة الباطنية الاسماعيلة.

ولما كانت الوحدة السياسية للبلاد قد استقرت لدولة صلاح الدين الأيوبى بعد أن قضى على جميع المؤامرات التى أضعفت وحدة المسلمين، وجد أن الفرصة مواتية لارجاع عقيدة البلاد الى جادة الصراط المستقيم، وبحكمته وذكائه وورعه، بدأ بالدعوة إلى سيرة أهل السنة والجماعة، ولما كان العلم هو الوسيلة التى تمكن من تحقيق ذلك، فقد أنشأ مدرستين لتعليم المذهب السنى، هما المدرسة الناصرية والمدرسة الكاملية.

وكان من عادة ولاة الأمصار أن تتم الدعوة فى خطب الجمعة للخليفة المسلم الذى يدين له الولاة بالولاء، وكان فى مصر يدعى

بهاء الدين بن شداد، وعمل على تنظيم طرق التدريس فى تلك المدارس حيث قسم المتعلمين إلى مدرسين ومعيدين كما عمل على أن تكون تلك المدارس خادمة للمذهب السنى قاطعة لدابر المذاهب الباطنية والتشيع والمعتقدات الفاطمية، كما جعلها منارات تزكى أوار الحماس ضد الصليبية وترفع شأن الجهاد لاعلاء كلمة الله.

ولم ينس صلاح الدين الأيوبى فى استخدامه للثقافة والتعليم كأداة الأمة المسلمة، أن يروج لصناعة الكتاب وبيعه وتسويقه فشهد عهده ازدهار صناعة الكتاب والوراقة، خاصة حول أسوار المساجد مثل سوق شرق جامع عمرو بن العاص وسوق دمشق للكتب التى ضمت أنفس المخطوطات من كل أنحاء الدولة الإسلامية مما شكل توحيدا ثقافيا عمل على جمع وجهة الدول الإسلامية. هكذا فإن توحيد الثقافة الإسلامية والعناية بها وازدهارها فى الدولة كان عاملا لربط الأمة ولبناء كيانها الواحد، وبتوفير هذا العامل فى الدولة الأيوبية انطلق الأمر ليشمل الامصار الأخرى وبهذا يتحقق الربط المنشود لكافة أنحاء الدولة.

(ان مذهبهم ظاهرة الرفض وباطنه الكفر المحض، والمنقول عنهم الاباحة المطلقة، ورفع الحجاب، واستباحة المحرمات، وانكار الشرائع، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم).

كانت قمة جهود صلاح الدين لاستئصال شأفة هذا الضلال هو ما حدث أثناء عودته من حلب فى عام (٥٧٢هـ). حيث مال إلى قلعتهم فى (مصياف) غربى حماة ونصب عليها المنجنيق وأوسعهم قتلا وأسرا وأخذ الأموال التى نهبوها من الناس ودمر ديارهم وجعلهم عبرة للأولين والآخرين، وبهذا انتهى من شرهم وافسادهم للعقيدة بنشر فكرة الحلول وتأليه الخليفة الفاطمى وادعائهم بالامام الغائب وفكرة المهدية.. إلخ عقيدتهم الفاسدة.

واستمر السلطان العادل صلاح الدين الأيوبى فى حفظ الدين من الشوائب، فكان إذا سمع برجل يدعو إلى مبادىء لاتتفق مع عقدة أهل السنة، ولاتلتقى مع قواعد الشريعة الإسلامية. فإنه يأمر بقتله بعد أن يستفتى فيه العلماء والفقهاء، ويقول عنه القاضى بهاء الدين: (وكان رحمه الله كثير التعظيم لشعائر الدين، مبغضا للفلاسفة والمعطلة ومن يعاند الشريعة، وإذا سمع عن معاند ملحد فى مملكته كان يأمر بقتله).

وعرف عنه حملته القوية على مظاهر الفسق والفجور التى كانت سائدة ابان توليه الوزارة فى الدولة الفاطمية، خاصة ماكان يجرى فى عيد النيروز من خلاعة ومجون ومنكرات، تحت قصر اللولؤة ويشاهده الخليفة الفاطمى، فأوقف ذلك الفساد وحاربه.

أما عن تقواه وورعه وتدينه فقد شهد له كثير من المؤرخين من أمثال أبو شامة فى كتابه (الروضتين فى اخبار الدولتين) والقاضى ابن شداد وفى خطط المقريزى.

للخليفة الفاطمى (العاضد)، لكن الملك نور الدين محمود صاحب الشام وولى نعمة الوزير صلاح الدين الأيوبى، يرى أن تتم الدعوة فى خطب الجمعة للخليفة العباسى (المستضىء)، وأيضا كانت هذه رغبة الكثير من المسلمين فى العالم الإسلامى، لكن صلاح الدين كان ينتظر الفرصة الملائمة لتنفيذ هذه الرغبة، فى نفس الوقت كان ينتظر أن تثمر مدرسة الناصرية والكاملية، بجهودها من أجل نشر الفكر السنى فى مصر وجذب أكبر عدد من المسلمين فى مصر إلى المنهج السنى.

صادف ذلك أن مرض الخليفة الفاطمى (العاضد)، وجمع صلاح الدين مجلس شوراه يستطلعهم فيما يريد الاقدام عليه من الدعوة للخليفة العباسى (المستضىء). هنا قام من بين مستشاريه رجل من الأعاجم اسمه الأمير العالم وتولى أن يقوم بهذا الأمر. ثم جاء المسجد وخطب للخليفة العباسى (المستضىء). ولكن صلاح الدين الورع التقى، أخبر أصحابه ألا يتم إبلاغ الخليفة الفاطمى (العاضد) بذلك خشية عليه وهو على فراش المرض وقال للناس: ان عوفى فهو يعلم، وان توفى فلاينبغى أن نفجعه بمثل هذه الحادثة قبل موته، تقبل الناس الأمر الجديد، وكما قال ابن الأثير فى تاريخه عن هذه الواقعة انها (لم ينتطح فيها عنزان) وتوفى الخليفة العاضد آخر خلفاء الدولة الفاطمية وبدأ العهد الأيوبى.

لم تقتصر جهوده لتوحيد العقيدة الإسلامية للمسلمين على ذلك، بل انه حارب المذاهب الباطنية والملحدة، وكانت فرقة الاسماعيلية الباطنية من الفرق الشائعة فى مصر، بل ناصبته العداء وعملت ضده لحساب أعدائه لدرجة انها دبرت مؤامرات لاغتياله، وكما يقول الامام الغزالى فى رسالته (فضائح الباطنية عن مبادىء الاسماعيلية)

اقتصاد الدولة الأيوبية
ودوره فى ترسيخ الوحدة الإسلامية

ينبع دور اقتصاد الدولة الأيوبية فى تحقيق عالمية الوحدة العربية الإسلامية من أنه كان اقتصادا قوميا شملت حركته كافة الدول العربية التى كانت تدين بالولاء للدولة الأيوبية، كما أنه تخطى بفعاليته حدود الدولة الأيوبية إلى جميع المناطق الإسلامية والعربية الأخرى.

وإذا ألقينا نظرة على حالة الاقتصاد فى الدولة الأيوبية، لوجدناه اقتصادا منتعشا فموارده كثيرة، وانتاجه متنوع وتجارته رابحة.. وقد كانت أهم موارده هى:

١- الجزية التى يدفعها غير المسلمين.

٢- استيلاء الدولة الأيوبية على كثير من كنوز الدولة الفاطمية والدويلات الأخرى والصليبيين خاصة تلك التى كانت تحويها القلاع والقصور.

٣- غنائم الحروب التى انتصر فيها السلطان صلاح الدين وهى كثيرة.

٤- فدية الأسرى بعد كل حرب خاصة الأمراء والملوك الذين كانوا يفدون أنفسهم بما يملكون من كنوز.

ان توحيد العقيدة الإسلامية للدولة، هو المحك الحقيقى لمصداقية الدولة المسلمة ومدى سعيها لتوحيد الأمة، فإذا كانت تسود بعض الدول الإسلامية مذاهب مختلفة فكيف يمكن توحيد البلدان العربية والإسلامية مذاهب مختلفة فكيف يمكن توحيد البلدان العربية والاسلامية فى دولة الاسلام القوية، وإذا كان الاسلام دين وحدة وتوحيد، بكل ما تحمله هذه الكلمات الاشتقاقية من معان، فإن ذلك ماكان يدور فى خلد البطل المسلم صلاح الدين الأيوبى وهو يحارب التشيع الذى أفرزته الدولة الفاطمية وماتبعها من فرق باطنية فاسدة العقيدة والممارسة.

هذا الجهد لتوحيد العقيدة الإسلامية أدى لأن تحذو الدول والأمصار والبلاد الإسلامية وتفعل مثل ما فعل صلاح الدين تجاه ذلك الانحراف، وبعودة مذهب السنة والجماعة إلى السيادة فى مختلف بلاد الشام والعراق واليمن وافريقيا ومصر، توفرت بيئة إسلامية دينية واحدة ومن ثم كانت قاعدة لارتكاز الوحدة الإسلامية بين الدول الأخرى التى تجسدت فى الدولة الأيوبية الواحدة.

٥- الخراج وهو ريع يؤخذ من الأرض الزراعية بعد الفتح صلحا.

٦- الزكاة التى يدفعها المسلمون على أموالهم.

ورغم غزارة هذه الموارد فقد كان انفاق صلاح الدين فى مكانه، فقد كانت الأموال تنفق فى مصارفها الشرعية الإسلامية، بجانب الانفاق على اعداد الجيوش وتجريد الحملات ضد الصليبيين واعداء الدين، وشمل الانفاق الحربى صنع السلاح وإقامة القلاع وترميم التالف منها..

وفى المجال الانتاجى اهتمت الدولة الأيوبية بالزراعة والرى وتخزين الغلال خوفا من تعرض البلاد للمجاعة فى المواسم المجدبة، كما كان جزء كبير من الانتاج الزراعى يوضع ضمن المؤن والعتاد اللازم للحرب والجيوش.

أما التجارة فقد كانت القنطرة التى عبرت من خلالها العلاقات الأخوية إلى العالم العربى والإسلامى بل إلى العالم أجمع، لقد كانت مصر حلقة اتصال بين الشرق والغرب لموقعها على البحرين الأحمر والأبيض المتوسط، وقد انتعشت مدن أوربية كثيرة بسبب التجارة مع مصر مثل مدن البندقية وبيزا الايطاليتيْن حيث أسس التجار البندقيون سوقا تجارية فى الاسكندرية أسموها سوق (الأيك).

وقد أولى صلاح الدين الأسواق التجارية كل اعتنائه واهتمامه حتى يزدهر الاقتصاد ويزداد الانتاج فى دولته، فكثر عددها فى مصر والشام واهتم باصلاحها وتوسيعها، ومر الرحالة (ابن جبير) ببعض هذه الاسواق فى رحلته أيام صلاح الدين سنة ٥٧٨هـ فسجل اعجابه

بنظامها، فقال فى معرض الحديث عن (حلب): (اما البلد فموضوعه ضخم جدا جميل التركيب بديع الحسن، واسع الأسواق كبيرها ومتصلة مستطيلة تخرج من سماط (جانب) صنعة إلى سماط صنعة أخرى. إلى أن تفرغ من جميع الصناعات، المدينة كلها سقفت بالخشب. فسكانها فى ظلال وارفة، فكل سوق منها تقيد الابصار، وتستوقف المستوفز (المستعجل) تعجبا وأكثر حوانيتها من الخشب البديع الصنعة).

كما وصف (ناصر خسرو) فى كتابه (سفر نامة) مدينة طرابلس الشام فى عهد صلاح الدين فقال: (انها بلد جميل، حوله المزارع والبساتين، وكثير من قصب السكر، وأشجار النارينج والموز والليمون وبها مغازل ذات أربع طبقات أو خمس أو ست: وشوارعها وأسواقها جميلة نظيفة، حتى لتظن أن كل سوق قصر مزين، وفى وسط المدينة جامع عظيم، نظيف جميل النقش حصين، وفى ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرخام فى وسط فوارة من النحاس الأصفر، وفى السوق مشرعة ذات خمسة صنابير منها ماء كثير، يأخذ منه الناس حاجتهم ويصنعون بها الورق الجميل، فلما فتحت تلك المدينة نهبت، وأعمل السيف فى رقاب سكانها، وصارت مكتبتها ومدرستها ومصنع ورقها رمادا).

ومن الصناعات التى اهتم بها صلاح الدين الأيوبى صناعة السلاح والمنسوجات والأقمشة والملابس الحريرية المزركشة، وسروج الخيل المطهمة، وصناعة الزجاج، كما انتشرت فى عهده صناعة الخزف والسفن والأساطيل، إلى غير ذلك مما يزدهر به الاقتصاد ويضاعف الانتاج، ويمكن للدولة أسباب القوة.

هذه الكلمات السابقات لخصناها عن كتاب صلاح الدين الأيوبى

بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين، توضح بجلاء شديد لا تخطه العين الفاحصة، المتمعنة، والمقارنة لتلك الدولة، أحوال اليوم، ان مقومات الدولة المتقدمة - بمقاييس ذلك الزمان - كانت كلها موجودة فيها فى المجال الاقتصادى، فالاهتمام بكل أركان البنيان الاقتصادى ومقومات التنمية كان موجودا فيها. هذا الأمر كان يرمى بثاقب نظر القائد صلاح الدين الأيوبى إلى مرمى بعيد. فإذا كان الرجل قد استطاع بقوة السلاح والرجال وعزيمة المسلمين أن يوحد أغلب الدول والامصار الإسلامية تحت راية التوحيد الواحدة ويقف في وجه الهجمات الصليبية التى تستهدف وحدة الأمة الإسلامية والعربية ووجودها. وأن تكون للمسلمين دولة قوية مركزية مزدهرة اقتصاديا، فإنه قد عمل على استقطابهم باتجاه مركز تلك الدولة. لتكون هى محور تلاقيهم وقبلة توحدهم، فالدين الإسلامى اعتنى بالاقتصاد والتنمية المادية مثل اعتنائه بالتربية والتنمية الروحية. ففى غدوهم ورواحهم وسفرهم وإيابهم لمركز الدولة والعواصم والدول والولايات والامصار تتلاقح الثقافات والقوميات والأفكار والأجناس وتمتزج الأعراف فكم من تزاوج وهجرات داخلية عملت على تفتيت عوامل الشقاق والتباغض والتشتت العرقى والدينى والثقافى، ومالنا نذهب بعيدا، فالإسلام انتشر فى جميع اصقاع الدنيا بشكل هادىء على يد التجار، ومع سعى الساعين يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله، ومع الذين يهاجرون فى سبيل الله فيجدون مراغما كثيرا.

وإذا كانت التجارة والاقتصاد يقومان على أساس التبادل والمصالح المشتركة، فإن ازدياد التعاون الاقتصادى والتبادل بين أمصار الدولة الأيوبية قد وفر أجواء من التقارب بين تلك الأمصار، أما مقاييس اليوم، فإن الدول الإسلامية والعربية أقامت المنظمات

الاقتصادية، وتسعى لقيام الأسواق المشتركة كوسائل تصب فى النهاية فى مجرى الوحدة العربية والإسلامية الشاملة.

وما أحرانا أن نأخذ الدروس المستفادة من تجربة الدولة الأيوبية، ونحن اليوم نتفق جميعا على ضرورة الوحدة الإسلامية والعربية ونخطىء الطريق إليها، ان عوامل كثيرة تخدم هذا الهدف المنشود، وأكثر هذه العوامل نفاذا، هو التعاون الاقتصادى، وذلك بتبادل الاستثمارات المشتركة على هدى فقه المعاملات الإسلامية مثل بيوع المرابحة والسلم، وصيغ المشاركة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والمصانعة... الخ، وإذا سار بيننا التعاون الاقتصادى، فإن هذا التداخل سيكون له أكبر الأثر فى زوال الحدود الوهمية التى صنعها الاستعمار بيننا، وأكدنا نحن عليها.

خاتمة

فى هذا البحث كان لابد من ملاحقة مجهودات صلاح الدين الأيوبى فى تحقيق الوحدة السياسية للدولة الإسلامية، ولقد كانت حروب ومعارك صلاح الدين مع أعداء ذلك الهدف السامى أدبا راقيا خلفه لنا، فهو كان يحارب أمراء وملوكا مسلمين، وكان يتبع فى ذلك نهجا إسلاميا وفقها ضروريا بالنسبة لنا الآن، فلم يكن يلجأللحرب إلا فى الضرورة القصوى، وكانت أغلب جولاته حصارا للمدن والقلاع، وكان أعماله للسيف فى الملاحدة والزنادقة والباطنية والمنحرفين، ولقد خلف الرجل فى حروبه أدبا للصلح والحرب والفتح ومعاملة الأسرى والمستسلمين والفساق.

وإذا عرجنا على ماجاء فى البحث من محاولة لتوضيح كيف عمل الرجل على تنمية العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والعقائدية، لتعمل إلى جانب العامل السياسى لأدركنا ذكاء وفطنة الرجل ولأدركنا عظيم ثراء التجربة فهذه العوامل لعبت دورها فى تجربة الدولة الأيوبية بعد السيف مباشرة، بل أغنت عن السيف فى مواطن كثيرة، وكانت هى السيف الذى فتح القلوب والعقول وهدم قلاع الباطل، هذا يؤكد أن انتقاء الوسائل لتحقيق الغايات هو العامل الأساسى فى النصر، فلكل داء دواء يستطب به، ولكل حادثة حديث، ولكل مقام مقال، وهذا مافعله الرجل رضى الله عنه وأرضاه.

المراجع

١ - ابن كثير ، الكامل فى التاريخ .

٢ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان .

٣- ابن جبير ، رحلة ابن جبير .

٤ - أحمد بيلى ، حياة صلاح الدين .

٥ - حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى .

٦ - جمال الدين الزماوى ، صلاح الدين الأيوبى .

٧- عبد العزيز سيد الأهل ، أيام صلاح الدين .

٨- محمد العروس ، الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب .

الفصل الخامس :

السوق الإسلامية المشترك
ودورها فى تطبيق الوحدة

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : التصور : ويتضمن

١ - الوحدة
٢- وحدة التاريخ
٣- وحدة الآمال المشتركة

المبحث الثانى : العقبات : ويتضمن

١ - واقع العالم الإسلامى
٢- العقبات السياسية
٣- العقبات الاقتصادية

المبحث الثالث : الحلول

١ - منظمة المؤتمر الإسلامى قاعدة الوحدة
٢- الاعداد لقيام سوق مشتركة
٣- التعاون المشترك
٤- الاعتماد على الذات
٥- استعراض عوامل الوحدة الاسلامية

اعداد : دكتور محمود بابللى

التمهيد :

تعيش أمتنا اليوم مرحلة هامة من تاريخها المعاصر، تستجمع فيها أسباب اتحادها وعوامل ترابطها وتضامنها وصولا إلى بعث الأمة الإسلامية الواحدة، وفق الصياغة المثلى التى حددها الإسلام، ووفق مواصفاتها التى وضعتها مبادىء الدين العظيم، على تقدير أن هذه الأمة كما قال سبحانه ﴿**خير أمة أخرجت للناس**﴾ سورة آل عمران الآية ١١٠.

أنيط بها أمانة الدعوة إلى القيم السامية والمثل العظيمة على الصعيد الإنسانى بأسره. ولاشك أن العامل الاقتصادى واحد من أهم العناصر الفعالة التى لها دور كبير فى التقريب بين شعوب العالم الإسلامى، وفى ترسيخ كيان الوحدة الإسلامية، لأن تعاون المسلمين وتكاتفهم فى هذا الحقل، يزيد فى تعاونهم وتقاربهم، ويحفظ عليهم ثرواتهم من الضياع ويحول دول وقوعها فى أيد أجنبية عنها.

ونحن اليوم فى أمس الحاجة إلى تحقيق الوحدة المنشودة عن طريق تحقيق عواملها المؤيدة.

وان ازدهار الاقتصاد الإسلامى هو قوة مادية كبرى تسهم فى رفع مستوى العوامل الحيوية الأخرى، على ما فى هذه العوامل من تداخل يتمم بعضها البعض الآخر.

وان قيام السوق الإسلامية المشتركة يساعد - دون ريب - على ازدهار الاقتصاد فى دول العالم الإسلامى، وبالتالى يساعد أيضا على قيام وحدة اقتصادية إسلامية فعالة وإيجابية، ويحقق بروز العالم الإسلامى وسط التكتلات الاقتصادية الدولية قوة رائدة ومؤثرة..

ويعيد الثقة الى شعوب هذا العالم بأنفسهم وتقوى شخصياتهم فى مواجهة الغزو الاقتصادى الذى أصبحت شوبنا مفتوحة لانتاجه . . دون أن يجدوا من جانبنا أية مقاومة لهذا الغزو، على الرغم من الامكانات المادية والبشرية والتقنية التى يزخر بها عالمنا الإسلامى .

ولم يعد خافيا على أى منا أن عصرنا الذى نعيش فيه هو عصر التكتلات، وإن أكبر تكتل يأخذ طريقه الى البروز هو الوحدة الأوربية التى اتخذت السوق الأوربية المشتركة مرتكزا لها ومنطلقا الى توحيد الدول المشتركة فيها توحيدا كاملا .

وإذا كانت الدول الكبرى الغنية المتقدمة تتكتل وتقيم فيما بينها أحلافا واتفاقيات لرعاية مصالحها والدفاع عن وجودها، فما أحرى الدول الإسلامية أن تتكتل وأن توجد من تفرقتها وحدة، ومن تشتتها قوة، ومن تجمع امكاناتها الطبيعية والاقتصادية والبشرية - مع الاستعداد والتأهيل - كتلة ضخمة تقف أمام الدول والأحلاف الأخرى موقف الند للند للدفاع عن مصالحها، وفرض وجودها عن جدارة واستحقاق . .

وإننى سأتناول فى بحثى هذا النقاط الرئيسية التى تعطينا: التصور، والعقبات، والحلول:

لقيام هذه السوق الإسلامية المشتركة، وأنها فى حال قيامها ستكون عاملا له أهميته الكبرى فى التمهيد لقيام الوحدة الإسلامية المنشودة .

المبحث الأول

التصوّر

إن اعطاء تصور واضح للموضوع يقتضينا تقديم الإطار النظرى للوحدة الإسلامية المنشودة فى الفقرات التالية، علما أن التصور هو حصول صورة الشىء فى العقل وإمكان نقله إلى عالم الواقع .

أولا – وحدة العقيدة .

ثانيا – وحدة التاريخ .

ثالثا – وحدة الآمال المشتركة .

وحدة العقيدة :

يأتى مفهوم العقيدة من ارتباط الإنسان المسلم بعقد مع خالقه بأن يفرده بالعبودية، ويؤمن بما أنزله على خاتم رسله، دون شك أو ريب .

فالعقيدة هى ما ارتضاه الإنسان لنفسه من ايمان بالله، وما جاء من عند الله، والتزم به وقبل المحاسبة عليه .

أما عقائد غير المسلمين الذين لايؤمنون بالله وبما جاء من عند الله فخطابنا غير موجه إليهم مادامت قلوبهم مقفلة عن ذكر الله .

وهذه العقيدة هى فى حقيقتها عقيدة التوحيد، توحيد الله فى ربوبيته وأنه إله واحد، خالق مبدع لاشريك له، وانه القيوم على كل نفس، سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى، والصفات العلى .

وان كل من التزم بهذه العقيدة فهو أخ فى الدين، أى فى عبادة الله كما أمر، والعبادة لله هى لصالح البشر فى أن يكونوا صالحين لأنفسهم لقوله تعالى فى سورة الجاثية: ﴿**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون**﴾ الآية ١٥ من سور الجاثية .

والرجعة إلى الله تكون للمحاسبة على ما أسلف الإنسان فى حياته الدنيا، ولنقرأ قوله تعالى :

﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين، عما كانوا يعلمون**﴾

سورة الحجر الآية ٩٢/ ٩٣ .

وجميع المسلمين يشعرون (بقرارة أنفسهم) أنهم أمة واحدة من دون الناس على مدى التاريخ مهما تباعدت ديارهم، خالقهم واحد لاندّ له، ونبيهم واحد وكتابهم واحد كما أنزل لم يتغير منه حرف

واحد، ولا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه، وتؤكد عبادتهم على ذلك فى الصلاة إلى قبلة واحدة، وفى الانقياد إلى إمام واحد، وفى الصيام فى شهر واحد وفى الحج فى زمن وإلى مكان واحد، فتصوراتهم عن الخلق والحياة والموت والقبر والبعث والحساب والجنة والنار واحدة، وكذلك عن قدرة الله، وعن الأجل والرزق، وأن مهمة المسلم فى هذه الحياة هى - بعد عبادة الله - عمارة الأرض واستثمار خيراتها فيما ينفع الناس، وأنه لافرق بين أحد من الناس مهما اختلف عرقه أو لونه إلا بالتقوى، وأن هذ ا هو معتقد المسلمين من يوم أن أنزل الله عليهم قوله:

﴿**ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ سورة الحجرات الآية ١٣.

إن العقيدة تنبثق عنها كل الوشائج الأخرى التى تشد أواصر الشعوب الإسلامية كالتاريخ واللغة والثقافة والعادات الاجتماعية، ووحدة الآمال والآلام[١].

ويقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى - رحمه الله -: (فى كتابه وحدة الأمم الإسلامية ص ٣١ - ٣٣).

إن الشعوب الإسلامية تتلاحم حدودها الجغرافية من باكستان شرقا إلى المغرب الأقصى غربا، وإذا لم نأخذ البحر مانعا للاتصال الجغرافى فإن البلاد الأندونيسية والماليزية كذلك تشارك العالم الإسلامى فى التلاحم الجغرافى، وأن هذه الشعوب لم تربطها رابطة العقيدة والدين فحسب، بل مقومات الحضارة والتمدن كذلك توثق الوحدة بينها.

فإذا سافر أحد من المسلمين من أندونيسيا إلى المغرب، يبدو له

---

(١) من كتاب (العالم الإسلامى اليوم) للأستاذ محمود شاكر بتصرف يسير ص ١٢ - ١٣.

جليا أن هناك حضارة مشتركة تسود مبادئها وأصولها كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي.

فمثلا كل بلد أزوره من البلدان الإسلامية أتأكد بمجرد أن يبلغ أذنى صوت المؤذن أن هذا البلد يسكنه الأخوة المسلمون، ولابد أن يكون لهم فيه مسجد. وأشعر كأى رجل من أهل البلد أنى أحد أعضاء أسرته، وإذا شاركت هذه الأسرة فى أداء الصلاة لن يظننى أحد منهم أجنبيا، بل إذا علموا بوجودى وعلموا بأننى جئت من بلد إسلامى آخر يهرولون إلى ويصافحوننى وربما لا أفهم لغتهم التى ينطقون بها، إلا أن التحية الإسلامية تشترك بيننا، كما أن لغة خطبة الصلاة ليست غريبة على، وكذلك كلمات (الحمد لله) و(رب العالمين) ،(الله)، وما إلى ذلك موحدة مشتركة فيما بينى وبينهم، وأن أشكال أركان الصلاة كذلك متوحدة من أندونيسيا إلى المغرب، ولايمنعهم شيء إذا صليت خلف إمامهم. وإذا خرجت من المسجد ودخلت المجتمع وجدت أو شعرت - أينما ذهبت - برابطة متينة من الحضارة والثقافة تجمع بينى وبينهم، وإذا أكلت معهم أكلت وقلبى مطمئن بأن الذى أُحرمه هم كذلك يحرمونه وأن الذى ألتزمه من قواعد الطهارة ومبادىء النظافة هم أيضا يلتزمونها فى حياتهم العامة. ثم ان كل دولة دخلتها لم يقابلنى الخواص من أهلها فقط بل قابلنى كذلك عامتهم فى الأسواق والأوتوبيسات والمطاعم وسألونى عما عليه اخوانهم فى بلدى من الأحوال والظروف كأفراد عائلة واحدة يسألون بعضهم عن صحة أقاربهم. وإذا بشرتهم بخير الأحوال حمدوا الله تعالى وتلألأت وجوههم بهجة وحبورا، وإذا أخبرتهم بسوء الأحوال يدهمهم الحزن والأسى كأحد أبناء بلدى.. ليس هذا فحسب بل ان قوانين الأحوال الشخصية من النكاح والطلاق والإرث المطبقة فى جميع البلاد الإسلامية تتشابه وتتقارب

إلى حد أن لايصعب على المسلمين أن يتزاوجوا بينهم. هذا الوضع لاأشاهده فى بلد تقطنه غير الشعوب الإسلامية قط. . ومعنى ذلك أننا معشر المسلمين تجمع بيننا آصرة عميقة الجذور قوية الخيوط من عواطف ومشاعر ومواساة ومواخاة وحضارة وثقافة تبلغ من تأكدها وتصلبها حيث لم يستطع أحد قصمها أو تمزيقها حتى فى عصر الجنون القومى، وطغيان التمييز العنصرى، وأضف إلى ذلك تلاصق البلدان الإسلامية من الناحية الجغرافية من الشرق إلى الغرب فلماذا لانتقارب ونتضامن لحل قضايانا المشتركة ولمساندة بعضنا بعضا فى بلوغ معارج الرقى والتقدم والازدهار.

وحدة التاريخ :

ان التاريخ الإسلامى يبدأ من يوم أمر الله رسوله المصطفى بتبليغ الرسالة إلى الناس، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأن الإسلام لم يأت لناس محصورين، ولم يأت لزمان محدود، وإنما جاء للناس كافة وإلى يوم الدين، فهو دين الإنسانية قاطبة، وإلى آخر أيامها، آمن به من آمن وكفر به من كفر، لأن مرجع الناس جميعهم إلى الله سبحانه فيحاسبهم على ماسبق منهم فى هذه الحياة الدنيا من ايمان برسالاته أو بكفرهم بها.

والتاريخ الإسلامى يمتد بامتداد الإسلام فى الأرض، وهو ان ابتدأ من مكة المكرمة، وانبعثت راياته من المدينة المنورة، ثم من المدن الأخرى التى أصبحت من عواصم العالم الاسلامى، فإن كل أرض استقر فيها الإسلام وجرى فيها تطبيق أحكامه فهى بلاد الإسلام ويبتدىء تاريخها الإسلامى من ذلك اليوم الذى انطلق من روابيها نداء التوحيد (الله أكبر). . واستمر هذا النداء حتى وان خفت

فيها أحيانا، أو ضعفت النفوس وتهاونت بالأخذ بتعاليم الإسلام، فإنه سريعا ما يرتفع ثانية لأن الايمان اذا ماخالط القلوب فليس من السهل انتزاعه منها لأن القرآن المحفوظ بحفظ الله له، والسنة النبوية المبينة لأحكامه، والتطبيق المثالى لأحكام الإسلام، وماكان عليه السابقون الأولون يبقى نبراسا ومنارة يضىء الدروب للسالكين على درب الاسلام مهما عصفت رياح المعادين له واحلولكت الظلمات فوق دروب السائرين، لأن الشعلة الإيمانية فى قلوبهم هى التى تنير لهم الطرقات، وهى التى يحرص المسلم على أن يختتم بها حياته، وذلك بأن تكون آخر كلمة ينطق بها هى كلمة التوحيد: لاإله إلا الله.

وقد وصل المد الإسلامى إلى أندونيسيا شرقا وإلى سواحل السنغال غربا، وأعالى نهر الفولجا شمالا، وإلى جزيرة زنجبار وتحت خط الاستواء جنوبا. .

فهذه المساحة الهائلة تدخل فى شمول التاريخ الإسلامى، وقد كان الإسلام فى بعض مناطق هذا المد تحت تأثير عوامل الصد الخارجى، والتحرك الداخلى لاثارة الشغب عليه، غير أن معظم هذه المناطق كانت متصلة بحركة التاريخ الإسلامى التى لاتستطيع الفكاك عنه.

وقد كانت مهمة الفتوحات الإسلامية التى امتدت إلى مناطق بعيدة عن قلب العالم الإسلامى هى نقل الإسلام إليها وهدايتها إليه دون إكراه أو إلزام فى اعتناق هذا الدين، لهذا وجدنا أن عدد غير قليل ممن حافظ على معتقداته بقى فى بلاده التى افتتحها المسلمون وتحت حمايتهم يمارس عقائده بحرية ويبنى كنائسه ومعابده إلى جوار مساجد المسلمين، وهى إلى يومنا هذا شاهدة على حرية

العبادة تحت ظل حكم المسلمين خلافا لما عاناه المسلمون بعد انكسارهم فى أسبانيا، وماعاناه المسلمون بعد تغلب الشيوعية عليهم فى البلاد التى خضعت بالقوة لهم من شرق أوروبا الى تخوم الصين وما يعانيه اليوم المسلمون فى جمهورية البوسنة والهرسك وفى الشيشان من قتل وظلم ودمار لد ليل على الفارق الكبير بين الحكم الاسلامى والحكم الغربى وبين الحضارة الإسلامية وعقيدتها وبين الحضارة الغربية وقوانينها.

وقد وجد الإسلام طريقه بين كثير من الشعوب المختلفة التى خالطها أفراده دون قوة حربية تحميه، وذلك عن طريق الاتصال الفردى والمعاملة الحسنة فنما الإسلام فيهم وتأصل فى ذرياتهم فأصبحت بلادهم تدخل ضمن عداد البلاد الإسلامية، وشملها التاريخ الإسلامى الذى اعتنقه معظم حكامهم ومعظم أفرادهم.

وأن حملة هذا الدين كانوا فى منطلق الدعوة هم العرب، ثم من آمن من بقية الشعوب التى اعتنقت الإسلام فى الشرق والغرب، ولذلك نجد أن تراث الإسلام لم يقتصر على حملته من العرب وإنما كان لغير العرب من المسلمين حظ كبير فى التعريف بالإسلام والحض على اعتناقه، وأن الأمثلة على ذلك كثيرة، وأن أسماء العديد من العلماء المسلمين من غير العرب يحفل بهم التاريخ الإسلامى أكبر شاهد على مانقول.. وان المرابطة على الحدود المتاخمة للدول المحاربة للإسلام كانت تتشكل من اعداد كبيرة من بلاد العالم الإسلامى غير العرب.

وهكذا نجد أن التاريخ الإسلامى، العسكرى منه والسياسى والاقتصادى هو تاريخ شعوب العالم الاسلامى من يوم أن اعتنقته وأصبح جزءا من حياتها تدافع عنه وتموت فى سبيله إلى يومنا هذا،

وإن هذه الشعلة الايمانية لم تخب فى قلوب معتنقى هذا الدين على الرغم من الضغوط التى لاقوها فى سبيل زحزحتهم عن عقيدتهم، وان أى انفراج يشعرون به من جانب القوة الحاكمة يظهرون أنفسهم ويعلنون شعائرهم. . كما نجده فى يومنا هذا فى الصين الشيوعية وفى روسيا البلشفية، حيث بدأ كابوس الحزب الشيوعى يرتفع عنهم وعن باقي الشعوب التى رزحت تحته من قبل.

وأن أى محنة أو اعتداء يقع على بلد إسلامى نجد كثيرا من أبناء الشعوب الإسلامية يسارعون إلى المشاركة بالمال والأنفس تضامنا مع أبناء دينهم فى المناطق التى يغزوها أعداؤهم، والمثل غير البعيد على ذلك بَذْلُ الهنود المسلمين الكثير من أموا لهم وعتادهم لمساعدة مصطفى كمال ضد أعدائه قبل انقلابهالمعروف لانقاذ الخلافة الإسلامية من الانهيار. . وكذلك مساعدة عدد لابأس به من أبناء البلاد العربية قاتلوا ويقاتلون الانجليز فى فلسطين ومصر، وكذلك الذين قاتلوا النظام الشيوعى فى أفغانستان طوال عشر سنوات حتى تحقق خروجهم وانسحابهم كانوا من بعض الدول العربية والإسلامية.

ان هذه الأمثلة، وقد سبقها كثير من قبل تشكل تاريخا موحدا تشترك فيه الشعوب المسلمة على اختلاف لغاتها وأجناسها لوحدة العقيدة فيها.

وان التراث العلمى والثقافى يؤكد هذه الحقيقة من وحدة التاريخ العلمى بين أبناء الشعوب الإسلاميةواشتراك مختلف هذه الشعوب فى بنائه وترسيخه.

وحدة الآمال المشتركة :

ان العقيدة الإسلامية التى تربط بين أبنائها فى جميع توجهاتهم

ومظاهر عباداتهم والتاريخ المشترك الذى يجمع بين أبناء الشعوب الإسلامية فى تلاقيهم فى ساحات النضال أو فى الإنتاج العلمى الذى تتوارثه الأجيال فتنقله أو تزيد عليه أو تعرضه عرضا جيدا وحديثا.

ان هذا الترابط بين أبناء الشعوب الإسلامية، إضافة على مايربط بينهم من أراض متجاورة وبحار مشتركة وأنهار متداخلة، هو منطلق الآمال المشتركة التى يعيشها أبناء الشعوب الإسلامية فى حاضرها وفى مستقبلها الذى تنتظره لأبنائها لأن الأفراح أو الأتراح التى تصيب شعبا من الشعوب الرسلامية لاتقتصر عليه وحده وإنما يشاركه فيها باقى الشعوب الإسلامية التى تفرح لفرحه وتحزن لما أصابه، وتسارع فى مد يد العون إليه قدر الإمكان..

وماهى هذه الآمال المشتركة بين الشعوب الإسلامية ان لم تكن قائمة على استعادة الأمة الإسلامية موقعها الذى هى أهل له، والذى جعلها بحق عندما أخذت بأوامر الإسلام التزاما واجتنابا خير أمة أخرجت للناس؟

إن الآمال المشتركة الموحدة للأمة الإسلامية هى فى أن تكون عزيزة، ذات سيادة حقيية تؤدى دورها الذى أعدها الله له فى نقل العباد من عبادة الوثن والبقر أو المادة، إلى عبادة الله وحده ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم. يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله مافى السموات ومافى الأرض وإلى الله ترجع**

الأمور. كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ سورة آل عمران الآيات ١٠٤/ ١١٠
ان هذا الميدان الذى يفتتحه رب العالمين بالخطاب العام للذين آمنوا يتقوا الله حق تقاته، يوجههم فيه إلى غاية واحدة بأن يحرصوا على ألا يموتوا إلا وهم مسلمون. .

فهذا التوجيه الإلهى الكريم هو بغية وأمل كل مسلم، ونرى الجميع وهم عند قرب منيتهم - يسألون الله سبحانه أن يتوفاهم على الإسلام. وقد سبق ليوسف عليه السلام، وهو نبى ورسول وذو سلطان أن يسأل ربه، بعد أن عدد نعم ربه عليه أن يتوفاه مسلما ويلحقه بالصالحين وذلك فى قوله تعالى: **﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين﴾**

سورة يوسف الآية ١٠١.

فهذا من وحدة الآمال المشتركة التى بين جميع المسلمين فى أن يحرصوا على أن يكونوا مسلمين حقا لأن تقوى الله حق تقاته لاتتحقق الا بأن يتمسك المسلم بأوامر دينهالتزاما واجتنابا ويتحلى بالأخلاق التى يأمره بها ربه بعد هذه الآية، وهو توجيه جماعى أيضا، وذلك بأن يعتصموا بحبل الله جميعا ولايتفرقوا، لأن فى اعتصامهم بالله وحدة وقوة وحسن عاقبة، وفى تفرقهم خذلانا وضعفا وسوء عاقبه. . وان يتذكروا نغمة الله عليهم بالتأليف بينهم على هذه العقيدة وهذا الدين الذى لادين غيره لقوله سبحانه: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾** سورة آل عمران الآية ٨٥. ويوجههم سبحانه بعد ذلك إلى أن تكون

منهم فئة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . .

وعندما سمع المؤمنون الأولون أن من يتصف بهذه الصفات يتحقق له الفلاح فى الدنيا والآخرة أخذ جميعهم بأمر الله فاتمروا بالمعروف قبل أن يأمروا غيرهم، وكانت دعوتهم خالصة لله سبحانه، وليس فيها غرض دنيوى أو هوى نفسى، فلم يعرف عنهم إلا الخير، لذلك خاطبهم ربهم بعد ذلك بصيغة الجمع :

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . ﴾ .

ان هذا الوصف الكريم لما كان عليه السلف من هذه الأمة هو توجيه مستمر للمسلمين جميعهم بأن يأخذوا أنفسهم بما أخذ به أسلافهم فيحققون الخيرية على الناس جميعا . .

ولنتذكر قوله سبحانه وتعالى للجماعة المسلمة :

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لاتظلمون﴾

سورة الأنفال الآية ٦٠ .

فقد ذكر سبحانه وجوب الاعداد المسلح الدائم والانفاق فى سبيله لتحقيق ماورد فى هذه الآية من الارهاب للاعداء الظاهرين وغير الظاهرين منهم . . وهذا خطاب للجماعة المسلمة يجب على أولياء أمورهم الالتزام به دون تهاون، لأنه أمر من الله سبحانه وفيه توجيه لاعداد القوة دون تحديد، فكل ما يحقق قوة الأمة المسلمة مطلوب منها، وان ذلك من بدهيات الأمور . . ووحدة الأمة واتفاق

كلمتها هو من جملة هذا الاعداد المطلوب ويتأكد بما سبق الاستشهاد به ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا..**﴾ وهذا الاعتصام بحبل الله يعنى أن تتوحد الأمة المسلمة فى قيادة واحدة، وان تعددت فيها المسؤوليات تحت مظلة هذه الوحدة..

ولنتذكر أيضا قوله تعالى:

﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان..**﴾

سورة المائدة الآية ٢.

ان مجالات البر هى مجالات الخير والنفع العام، فإذا تحقق التعاون المخلص فى هذه المجالات انتفع به كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية ووصل نفعه إلى غيرهم من باقى الشعوب..

أما الإثم والعدوان، فهو ارتكاب الشرور والاضرار بالناس، فإذا ما تجنب الناس ذلك، عم السلام بين الناس وعاشوا فى تعاون ووئام، واجتنبوا ما فيه عدوان على أنفسهم وأموالهم..

وقوله تعالى:

﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾ سورة الشورى الآية ٢٨.

بمعنى أن ما يهم المسلمين جميعهم من أمر يجب أن لاينفرد واحد منهم بالتصرف فيه دون الرجوع إلى أهل الرأى فيهم - حسب اختصاص كل منهم - وهذا التوجيه يؤكد وجوب العمل على ايجاد مجالس للشورى، يرجع إليها أولو الأمر إلى الأمة، ليتعرفوا على الأصح من الآراء الذى هو أقرب إلى روح الشرع، وذلك فيما لانص فيه..

وهذه التوجيهات - وأمثالها التى يخاطب رب العالمين بها الذين

آمنوا هى توجيهات مستمرة، وعلى المسلمين رعاة ورعية ان يلتزموا بها لكى يحققوا وصف الله لهذه الأمة، عندما أخذت بها أنها خير أمة أخرجت للناس. وهذه الخيرية لاتتحقق إلا بشروطها.

هذه هى التطلعات والآمال التى يحرص المسلمون على تحقيقها فى أنفسهم، وهى تطلعات واقعية وليست خيالية، وان حال دون تحقيقها - فى وقت من الأوقات - ظروف وأوضاع لم يتمكن المسلمون فى زمانها من التخلص منها - وإن كانوا يطمعون فى تحقيقها - فسيأتى من يحمل عبء ذلك، مادام شرع الله قائما بين أظهرنا ومحفوظا بحفظ الله له.

المبحث الثانى

العقبات

١- واقع العالم الإسلامى:

ان من أبرز العقبات التى يواجهها العالم الإسلامى هو الواقع الذى يعيش فيه من تخلف واختلاف، وان هذا الواقع جعل كثيرا من الناس، ومن بينهم عدد غير قليل من المسلمين لايعرفون الإسلام إلا بما تنعكس عليه آثار أتباعه.

وهذا مؤسف ولكنه أمر واقع لأن أثر الظاهر لمن يتمسك بالظواهر كبير ولأن الإسلام كأى دعوة أخرى، يجب أن تظهر تعاليمه حية فى سلوك أتباعه وفى تصرفاتهم، وفيما يظهرون به على العالم من أثر الدعوة فيهم.

فهل يمكن أن نقول: ان المسلمين - فى واقعهم هذا - يعكسون على العالم بأسره مايشرح صدره للإسلام ويهديه إليه؟ وأقول فى واقع العالم الإسلامى وليس فى الاسلام ذاته.

ان الجواب عن هذا التساؤل لن يكون مرضيا، فمن المسؤول عن هذه النتيجة غير المرضية؟ أهو الإسلام أم المسلمون أنفسهم؟

إن الإسلام برىء من تقصير المسلمين، ومما هم عليه من تخلف وضعف، وان المسلمين يتحملون مسؤولية واقعهم هذا لأن الإسلام

لم يأمرهم إلا بخير، ولا يأمرهم إلا بمعالى الأمور وبالأخذ بأسبابها، وينهاهم عن كل ما يوصمهم بالشين أو يوصلهم إلى هذا الجمود والتخلف.

ولما كانت الدعوات لا تنهض إلا بتمثل الداعين لها والتزامها قولا وعملا، فلايمكن أن يدعو الإنسان إلى مافى باطن الكتب من تعاليم خيرة مالم يكن هو ذاته مؤمنا بها ومطبقا لها على نفسه قبل كل شيء، فيلمس الناس أثارها الصادقة فى تصرفاته وتصرفات أتباعه المؤمنين معه بها وبذلك تعلن هذه التعاليم عن نفسها مؤيدة دعوة الداعى ومصدقة لها وله.

ان التساؤل عن أسباب تخلف (معظم) بلاد العالم الإسلامى هو تقريبا على كل لسان وبخاصة إذا جرى الحديث عن واقع هذا العالم، وما تعيشه الدول المتقدمة فى ميدان الحضارة المادية والموازنة بين ما توصلوا إليه من سبق علمى وما نحن عليه من تخلف وجمود واختلاف وتناحر..

لأنك حيثما اتجهت فى عالمنا المنكوب بواقعه وجدت التخلف - بجميع أحواله - مخيما على هذه الدول، مع وجود بعض الفروق فى الأخذ بأسباب الحياة تبعا لغنى بعض هذه الدول من موجودات المواد الخام المختلفة، ولكن هذه الدول على غناها فإنها دول مستهلكة للإنتاج الصناعى والغذائى المستورد من الدول المتقدمة.

وان أى عطل أو نقصان فى هذا الإنتاج فإن الخبرة فى إصلاحه أو التعويض عنه يعود إلى الخبراء أو الفنيين أو المصدرين من العالم المتقدم.. لقاء مبالغ ضخمة يتقاضونها عن توفير هذه الخدمات أو تصدير بعض المنتجات..

وقد تسأل بعضهم عن المدة التى يحتاج إليها العالم الإسلامى لكى يسير على الخطا التى ستؤدى به إلى طريق التقدم الصحيح، والاستقلال الاقتصادى السليم، وكأنه نسى أن العالم المتقدم لن يتوقف عن مسيره، بل انه على العكس يسير بخطوات سريعة فى ميادين العلم والتصنيع حتى أصبح من غير المؤكد فى واقعنا الحاضر ان اللحاق به أمر قريب المنال.

وقد أجابهم أحدهم: ان المطلوب ليس اللحاق بهم، وإنما المحافظة على النسبة التى بيننا وبينهم ان لاتتسع أكثر فأكثر لصالحهم، لأن التخلف ضارب أطنابه بعوامله الهدامة..

ولابد من ملاحظة هذه الظاهرة المؤلمة التى تتفاقم فى بلدان العالم الإسلامى، وهى هجرة كثير من المثقفين والعاملين الى بلاد الغرب، واستغلال هذه البلاد لهم - وهم فى مرحلة العطاء والإنتاج - والعمل على إذابتهم وأسرهم فى مجتمعاتهم على تراخى الزمن..

وانه لو قدر وعاد هؤلاء إلى بلادهم لاستفادت منهم استفادات كبيرة، ولكانوا سببا فى رفع مستوى بلادهم المعاشى والاجتماعى، والقفز ببلادهم إلى طريق التقدم خطوات واسعة، ولتقاصرت النسبة بينهم وبين البلاد المتقدمة التى أحسنت استقبالهم ومعاملتهم..

ولكن الواقع أن الهجرة فى ازدياد، وان استقرار المهاجرين هناك أصبح هو الأصل، وان الأمل فى عودتهم ضعيف جدا لأنهم ماهاجروا من بلادهم إلا تحت ظروف اضطرتهم إلى الهجرة، وان هذه الظروف لازالت قائمة، ولايوجد مايبشر بتغييرها لصالح عودة المهاجرين أو المهجرين أو بعضهم[١]..

---

(١) انظر كتابنا (إلى الشباب المسلم فى غربته) والدوافع إلى الهجرة.

٢- العقبات السياسية :

ان تعدد دول العالم الإسلامى واختلاف النظم السائدة فى معظمها، والتبعية للأجنبى الذى له سلطانه القوى على بعض هذه الدول، وحالات التردى التى وصلت إليها بعض العلاقات الثنائية وعدم الرضوخ إلى صوت الحق للفصل فيما بينها عند تأزم العلاقات.. واستعداء بعضها على بعض والانفاق الكبير على التسلح واستعمال السلاح فيما بين بعض هذه الدول أحيانا.. وعدم احترام المعاهدات الجماعية والثنائية والخروج عليها عند اعتقاد القدرة..

هذه بعض العقبات التى أرى أنها تجعل من الصعب التوصل إلى عمل موحد تعود فائدته على الشعوب الإسلامية لذلك فإنه قلما يتم اجتماع قمة تتوصل فيه الدول الأعضاء إلى قرار واحد يلتزمون به جميعهم أو أن آثار اتفاقهم تظهر للوجود معبرة عن هذا الاتفاق..

وان الذى نحتاج إليه لتذليل هذه العقبات هو النضج السياسى الذى يسمو على هذه الخلافات واتقاء الله فى كل تصرفاتنا، والنظرة البعيدة الواعية المدركة لآثار الاختلاف فيما بين بعض هذه الدول، وأثار الصراع على حطام الدنيا ونزوات النفوس وان ينصرف قادة الأمة إلى اتخاذ الخطوات التى تقرب بين شعوبهم وبخاصة التعاون المخلص فى النواحى الاقتصادية التى لها مردود محسوس ونفع محقق كما لها مساس وتأثير على حياة الشعوب المتعاملة بعضها مع بعض بالتقريب فيما بينها بأهداف التعليم والتوجيه الإسلامى ورفع الحواجز والعوائق التى صنعها الاستعمار وعملاؤه وغرسها فى بلادهم لتحقيق مصالحه بشكل مستمر..

فالتعاون الاقتصادى يعود بالنفع المؤكد على مجموعة الشعوب

ويعطى المثل على إمكانية التعاون فى المجالات الأخرى.

وقد يكون هذا التعاون منطقيا أيضا لتوحيد السياسات الداخلية بين الدول الأعضاء فى كثير من الأمور التى تقرب وتؤدى فى النتيجة إلى الوحدة السياسية من الناحية الخارجية والإعلامية والعسكرية، وتقليص النفقات التى تبذلها كل دولة فى سبيل فتح سفارات وقنصليات وملحقيات لها لدى الدول الأجنبية والإسلامية وما يستتبع ذلك من نفقات ضخمة حتى ولو كانت الدولة (دويلة) ذات مساحة صغيرة وقلة فى عدد السكان فإنها واقعة تحت هذا التأثير فى أن تبرز فى علاقاتها الخارجية وكأنها دولة ذات امكانات كبيرة.

٣- العقبات الاقتصادية :

ان معظم البلاد الإسلامية تعتبر فى جملة الدول المتخلفة اقتصاديا أو (الدول النامية) فى المصطلح السائد فى هذه الأيام، وان كان بعض هذه الدول تعتبر من الدول المنتجة للمواد الأولية لوفرة مواردها منها إن هذه الدول لاتستفيد من انتاجها مباشرة، ولابد لها من أسواق خارجية تصرف هذا الانتاج فتعمد إلى بيعه للدول الصناعية التى تعقد معها معاهدات ثنائية لاستيراد انتاجها منها واستعادة بعضه مصنعا بأسعار باهظة.

وهذا الواقع لمعظم دول العالم الاسلامى يجعل منها دولا مغلوبة على أمرها وخاضعة لسلطان الدول المتقدمة تستغل خيراتها كيف تشاء لأنها تعمل متفرقة وليس لها رابطة تجمع بينها للدفاع عن مصالحها كما هو حال منظمة الدول المنتجة للبترول (الاوبيك) التى جمعتها مصلحتها المشتركة المادية فى التعاون فيما بينها لرعاية مصالحها أمام الدول الراغبة فى شراء البترول.

وبما أن المواد الأولية فى البلدان النامية هى التى كانت سببا فى

تسلط الدول القوية عليها، فإن هذه المواد تبقى أيضا عاملا كبيرا فى جلب المشكلات لهذه الدول لأنها عاجزة عن حمايتها وعن استغلالها بنفسها كما يجب، كما أنها إذا لم تؤمن لها الأسواق الخارجية بالشروط التى تريدها فستبقى هذه الموارد حبيسة فى أراضيها مما يزيد فى مشكلاتها.

وهكذا يتضح لنا أن مشكلات البلاد المنتجة للمواد الأولية هى من أهم المشكلات التى تجابه البلاد المختلفة مالم تكن هذه البلاد المنتجة لهذه المواد قد جمعت أمرها ووحدت كلمتها فى أن تقف صفا واحدا للدفاع عن كيانها وثرواتها من أن تكون موضع استغلال غير متكافىء..

وإذا مابقيت هذه الدول متفرقة فإنه يصعب عليها ان تتوصل إلى تحقيق تقدم اقتصادى ينمو على مدى الأزمان لأن اليد الواحدة لاتصفق كما يقولون.

غير أن التعاون المنظم الصادق فيما بين دول العالم الاسلامى يحل لها كثيرا من هذه المشكلات ويحيلها من دول ضعيفة لتفرقها وتنازعها إلى كتلة قوية يحسب لها أكبر حساب..

وهذا مالاحظته الكتل الدولية الحديثة عندما بدأت بالتجمع والعمل المشترك فى أكثر من ميدان..

ومن هنا فإنه من المستحسن لأية دولة من دول العالم الإسلامى أن لاتقيد نفسها بارتباطات طويلة المدى، لكى لايكون هذا الارتباط سببا فى عرقلة التعاون المشترك مع باقى الدول الإسلامية.

ومن الملاحظ - ولأسباب مختلفة - فإنه يغلب على كثير من دول العالم الإسلامى أنها واقعة تحت ثقل الديون الأجنبية وفوائدها

الباهظة لاعتمادها على تغطية نفقاتها من القروض الأجنبية وما تجره من كوارث.

كما أن هناك عددا من الدول الإسلامية تعجز عن استغلال خيراتها استغلالا فنيا لأنها تفتقر إلى العنصر البشرى المدرب والمهارات الفنية أو لقصور فى التمويل على الرغم من وجود عدد آخر تتوافر لديه قيمة العملات المحلية لمعظم هذه الدول فى مواجهة العملات الأجنبية، أو أن بعض هذه الدول يخضع لأوامر وتوجيهات صندوق النقد الدولى بشكل قد يتصادم مع مصالح الدول المستقرضة..

وأن تذليل هذه العقبات يتطلب المزيد من التعاون المخلص وتحقيق مبدأ التكامل الاقتصادى فيما بين هذه الدول، وذلك بالتنسيق فيما بينها لاستغلال امكاناتها فى مختلف مجالات الاستثمار، وذلك بامتصاص اليد العاملة المدربة، والأموال الفائضة المجمدة والثروات الضائعة المعطلة..

كما يتطلب أن تشارك الدول الإسلامية الغنية - مشاركة انقاذ - بتشديد بعض ديون الدول الفقيرة دون فوائد، لتخفف العبء عن كاهل هذه الدول، وتساعدها فى التغلب على مشكلاتها المالية، ولتقطع الطريق على من يريد استمرار استغلال حاجة هذه الشعوب فى الاستزادة من هذه القروض الربوية.

ان هذه العقبات ليست مستعصية على الحل فيما إذا وجدت النيات الصالحة والعزائم الصادقة من أولياء أمور العالم الإسلامى فى أن يخلصوا عملهم لله ويجعلوا رائدهم قوله تعالى ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ وقوله تعالى ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾.

المبحث الثالث

الحلول

١ - منظمة المؤتمر الإسلامى قاعدة الوحدة الإسلامية :

سبق أن ذكرت بعض الحلول عند استعراض لأبرز العقبات التى تحول دون تحقيق الوحدة المنشودة بين دول العالم الإسلامى، وأن هذه العقبات لا تستعصى على الحل فيما إذا تحققت النوايا المخلصة والعزائم الصادقة عند قادة شعوب الأمة الإسلامية فى إزالة هذه العقبات كلها أو التخفيف من آثارها على الأقل، وأن يبدأ العمل ثنائيا ثم يتوسع مع الدول المتجاورة والمتقاربة فى الآمال وفى التطلعات إلى تحقيق التكامل الاقتصادى، ومن ثم العمل على إيجاد سوق إسلامية مشتركة توحد السياسات الاقتصادية وغير الاقتصادية بين دول هذه السوق لتنبثق عنها الوحدة المنشودة كما سبق لدول السوق الأوربية المشتركة أن حققت عن طريق تعاونها الاقتصادى التوصل إلى اتخاذ قرار جماعى بإنشاء اتحاد دولى أوربى.

إذ لاتعدم الأمة الإسلامية فى قياداتها عناصر مخلصة تتحسس آلامها وتعمل بحكمة وروية على جمع الكلمة وتقديم العلاج الناجح لتحسين أوضاعها مع استمرار التعاون الصادق فيما بينها.

وان سبق الدعوة إلى تضامن دول العالم الإسلامى أمر محمود

العواقب - بإذن الله - وقد انبثق عنه من الناحية السياسية منظمة المؤتمر الإسلامى التى ستكون بإذن الله قاعدة للوحدة الإسلامية المرتقبة كما انبثق عن هذه المنظمة من الناحية الاقتصادية البنك الإسلامى للتنمية الذى هو فاتحة خير للعمل المشترك فى الحقل الاقتصادى بشكل خاص وهذا الحقل الذى نرجو أن يؤتى ثمارا طيبة فى قابل أيامه كما هو (أى البنك الإسلامى) فى واقعه الذى تترجمه أعماله مؤهل لأن يكون انموذجا رائدا لكل عمل مشترك فيما إذا صحت العزائم وخلصت النيات وانه بأهدافه التى يسعى إلى تحقيقها بدأب وحكمة يمكن أن يرشح لوضع القواعد الأساسية لإمكان قيام سوق إسلامية مشتركة لأنه أصبح ذا خبرة واسعة بأحوال دول العالم الإسلامى وبخاصة من الناحية الاقتصادية أو أن يتم ذلك بالاشتراك مع الجهات المختصة فى منظمة المؤتمر الإسلامى وهى على سبيل المثال:

١- مركز الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية والاحصائية والتدريب للدول الإسلامية الذى يتخذ له مركزا دائما فى أنقرة.

٢- الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع ومركزها فى كراتشى.

٣- المركز الإسلامى لتنمية التجارة ومركزه فى الدار البيضاء.

٤- المؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا ومركزها فى جدة.

٥- المركز الاسلامى للتدريب الفنى والمهنى والبحوث فى داكا.

وان الاتفاقية العامة للتعاون الاقتصادى والفنى والتجارى بين الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى يمكن أن تتخذ أيضا مرتكزا ومنطلقا لتحقيق قيام السوق الإسلامية المشتركة فقد جاء فى مقدمتها مانصه:

(إن حكومات الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى والموقعة على هذه الاتفاقية تمشيا مع أهداف منظمة المؤتمر الإسلامى التى ينص عليها ميثاق هذا المؤتمر ومع قرارات مؤتمر القمة الإسلامى المنعقد فى لاهور وحرصا على توفير أفضل الظروف الممكنة والشروط لتقدم الدول الأعضاء ونموها الاقتصادى ورفع مستوى معيشة شعوبها ورغبة فى توثيق الروابط بين الدول الأعضاء فى مختلف الميادين بما يحقق مصالحها المشتركة واقتناعا بأن علاقات التعاون الاقتصادى والفنى والتجارى بين الدول الأعضاء هى إحدى الوسائل الرئيسة التى يمكن من خلالها دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول الإسلامية - وسعيا للاستفادة القصوى من الطاقات والامكانات الاقتصادية والبشرية والفنية المتاحة فى العالم الإسلامى وحشدها واستغلالها على أفضل وجه فى إطار من التعاون الوثيق والمنظم بين الأعضاء لما فيه خير شعوبها ورخاؤها:

وافقت على هذه الاتفاقية واتفقت على أن تبذل قصارى جهودها لوضعها موضع التنفيذ فى إطار علاقات التعاون الاقتصادى والفنى فيما بينها لتحقيق أهدافها سواء على مستوى العمل المشترك لها جميعا أو على مستوى النشاطات الأخرى الثنائية والمتعددة الأطراف).

إن هذه الاتفاقية بما تضمنته من التزامات فى الحقل الاقتصادى والتجارى والفنى كفيلة بأن تكون المرتكز الأساسى لقيام سوق إسلامية مشتركة بين الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى مع إيجاد مجلس اقتصادى أعلى يتولى الاشراف على تنسيق التعاون فى المجالات المتعددة التى تقوم عليها السوق تحتضنه منظمة المؤتمر الإسلامى وتزوده بالصلاحيات التى عن طريقها يحقق أهدافه.

٢- الاعداد لقيام سوق إسلامية مشتركة :

ان اتساع رقعة العالم الإسلامى واختلاف موارده ومستوياته الاجتماعية والاقتصادية ويتطلب من المختصين أن يقوموا بدراسات علمية جادة تكشف عن :

١- امكانات كل دولة من دول العالم الإسلامى من الناحية الاقتصادية لمعرفة مواردها الطبيعية وأسلوب استغلالها وما تحتاج إليه من موارد غير متوافرة فى أراضيها والطاقة البشرية لديها ومدى قدراتها وتأهيلها التقنى وإسهامها فى برامج التنمية . .

والتعرف على المستوى الاقتصادى الفعلى ومالديها من أنشطة اقتصادية تختص بها وماتستطيع الاسهام به عند قيام السوق الاسلامية المشتركة .

٢- النواحى التى يمكن أن توجه إليها كل دولة حسب قدراتها ومواردها وخبراتها لتختص بها أو أن تتعاون مع غيرها فيها ليتحقق عن طريق هذا التخصص التكامل الاقتصادى وبخاصة توفير أسباب الأمن الغذائى لمجموع مواطنى دول السوق والرخاء النسبى .

٣- احتمال ظهور عقبات أو مقاطعات اقتصادية وبخاصة لدى بعض الدول ذات العلاقة والارتباطات الثنائية مع دول غير إسلامية وكيفية مواجهتها بصورة جماعية .

٤- الروابط الخاصة من جغرافية أو بشرية أو اقتصادية قائمة بين دول السوق المرتقبة وبخاصة بعض الاتفاقيات الثنائية بين بعض هذه الدول التى تشجع على قيام التعاون الاقتصادى بمختلف أنشطته بينها لتقارب مستويات كل منهما وظروفهما الانتاجية .

وأنه عن طريق هذه الاتفاقيات الثنائية يمكن اتخاذها منطلقا

لتعاون واسع مع باقى الدول التى ترتبط معها برباط العقيدة والآمال المشتركة والمصير الواحد.

٥- عن اثار التعاون الاقتصادى بشكل خاص لدى دول التعاون الخليجى والعربى والمغربى وما تأمل أن تحققه فى مستقبلها القريب والبعيد، وإنها نواة لتعاون أكبر يتولد عنه قيام السوق المنشودة.

٦- عن واقع المصارف الإسلامية التى انتشرت فى كثير من الدول الأعضاء وغيرها، وعن أنشطتها ومدى إسهامها فى قيام السوق المشتركة.

٧- عن أسبقيات الأسواق المشتركة من عربية أو افريقية أو أمريكية أو أوربية، وعما قدمته كل منها وأسباب تفوقها أو اخفاقها، لتكون سابقة للسوق الإسلامية المرتقبة، تقتبس منها ما يصلح وتتجنب منها ما يعرقل أو يحول دون قيام هذه السوق. أى تأخذ من تجاربها ما قد ينتفع به.

ان مثل هذه الدراسات تساعد على تقريب وجهات النظر المختلفة عند التعرض إلى بحث قيام سوق إسلامية مشتركة. وتؤيد جانب من الداعين إلى قيامها، لأنها تكشف عن مدى واقع كل دولة ليست مرتبطة باتفاقية تعاون مع غيرها، وعما تلاقيه من صعوبات فى توفير حاجياتها وصعوبة الوفاء بالتزاماتها، لتراكم القروض وفوائدها.. كما هو واقع دول العالم الثالث فى أيامنا هذه مع الدول الدائنة.

وان قبولها التعاون مع غيرها من الدول الإسلامية فى قيام سوق إسلامية مشتركة سيحقق لها كثيرا من الخير، وسيخفف عنها كثيرا من التزامتها الجائرة مع غيرها، وسيساعدها على رفع مستوى دخل أفرادها.. وسيتشكل من مجموع هذه الدول قوة متماسكة تقف

بمواجهة الدول الأخرى المتسلطة، وتحول دون استمرار تسلطها الاقتصادى وغير الاقتصادى، كما هو معروف فى عالمنا المعاصر.

وقد لمست الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى المشتركة فى (البنك الإسلامى للتنمية) المنافع المادية التى تحققت لمعظمها خلال فترة قيامه، ولاتزال.. وأن هذا الاشتراك والتعاون فى سوق إسلامية مشتركة سيزيد من مجالات الانتفاع المادى وغير المادى، لأن الفرد المسلم قوى بأخيه. كما أن الدولة المسلمة قوية بأختها الواحدة، فكيف بها إذا كانت منتظمة مع باقى الدول التى تشاركها الطموحات والآمال والآلام..

٣- التعاون المشترك:

إذا نظرنا من الناحية الواقعية إلى مبدأ التعاون بين دول العالم الإسلامى فيما بينها لتأكد لنا أنه لاتوجد دولة من دول هذا العالم لاترتبط بمعاهدة أو اتفاقية اقتصادية أو ثقافية أو نقل أو غيرها مع دولة أخرى أو مع أكثر من دولة.

وأن هذا التقارب الثنائى يمكن أن يكون مرتكزا لاتفاقات أوسع ومع عدد أكبر من هذه الدول كما حصل مع دول الخليج العربية قبل عدة سنوات فتشكل منها (مجلس التعاون لدول الخليج العربية).

وقد جاءت هذه الخطوة تعبيرا عمليا عما يربط بين دول المجلس من وشائج راسخة وامتدادا لما هو قائم بينها من تعاون على كل صعيد.

كما أعلنت دول المغرب العربى عن وجود اتفاقية تعاون مشتركة فيما بينها وهى: (المملكة المغربية والجزائر وموريتانيا وتونس وليبيا).

ولم يكن الغرض من هذه الاتفاقيات مقصورا على النواحى السياسية وإنما يشمل جوانب عدة غير أن الجانب الأهم الذى راعته هذه الاتفاقيات هو الجانب الاقتصادى لأنه الحقل الأكثر استعدادا وقابلية للتعاون وتقديم الثمرات العاجلة.

وان فرص النجاح أمام هذا التعاون ترجع إلى عوامل متعددة ومن أبرزها:

- التشابه الكبير فى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

- التقارب فى عوامل الندرة للمنتجات الصناعية والوفرة فى المواد الطبيعية.

- تشابه مشكلات وتحديات التنمية التى تواجهها كل دولة فى الحاضر والمستقبل.

- وحدة العقيدة واللغة والتماثل فى القيم والتقاليد والتراث، والتشابه فى أساليب الحياة.

- التفاعلات التاريخية المشتركة التى جعلت من مجتمعات كل منطقة، وكأنها دولة واحدة.

- اتصال معظم هذه الدول بعضها ببعض دون حواجز طبيعية، وإمكان ربطها بطرق ومواصلات ووسائط نقل تصل فيما بينها على أيسر سبيل.

ويهدف هذا التعاون (الاقتصادى) إلى:

- تحرير حركة الموارد الاقتصادية بين الدول الأعضاء بإزالة كافة القيود على حركة الأشخاص والسلع ورؤوس الأموال.

- توحيد التعرفة الجمركية الخارجية، وإيجاد درجة من الحماية

الجمركية المشتركة تجاه العالم الخارجى، وإلغاء التعرفة الجمركية على موارد ومنتجات الدول الأعضاء.

- تنسيق الخطط الانمائية والسياسات الاقتصادية والمالية والنقدية، والتشريعات التجارية والصناعية والزراعية والخدمات.. وتنسيق التعاون مع العالم الخارجى فى هذه المجالات.

- التعاون فى مجال نقل وتوطين المعرفة والتقنية، وفى تنمية الموارد البشرية واعدادها لتتحمل مسؤولياتها فى مختلف جوانب العلم والعمل والانتاج.

- ربط ودعم التجهيزات الأساسية لشبكات المواصلات والنقل والاتصالات ومصادر الطاقة والمياه.

- تحقيق (المواطنة الاقتصادية) بالوصول إلى حرية ممارسة النشاط الاقتصادى والتملك عن طريق التسوية فى المعاملة بين المواطنين المحليين ومواطنى الدول الأعضاء من أشخاص طبيعيين أو اعتباريين.

- دعم دور القطاع الخاص فى الدول الأعضاء، فى تحقيق التكامل الاقتصادى فيما بينها، والاهتمام بالمشروعات المحلية ذات الطابع المشترك.

- تنسيق التعاون مع العالم الخارجى فى مجال الاستطلاع وتقديم المعونات الفنية التقليدية للتنمية.

وان هذه الأهداف - وما يتفرع عنها - هى إحدى حلقات التكامل الاقتصادى لهذه الدول المتعاونة كما أنها بمجموعها تشكل أيضا حلقة كبرى فى تحقيق التكامل الاقتصادى بين دول العالم الاسلامى عندما يتشكل منها مجلس اقتصادى أعلى يتولى الاشراف والتنسيق

بين فعاليات هذه الدول من الناحية الاقتصادية .

وهذه التكتلات تدعمها اتحادات الغرف التجارية المحلية والعربية والإسلامية التى تعمل جميعها فى حقل التعاون الاقتصادى المشترك تساعد على قيام السوق الإسلامية المشتركة لأنها العناصر الفعالة التى ستمد السوق بخبراتها وثمرات نشاطاتها . .

وهناك مؤسسات تعاونية متعددة النشاطات تعمل فى غالبيتها فى المجالات الاقتصادية ومن أبرزها :

- مجلس محافظى الصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والاجتماعى .
- الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية .
- صندوق أبو ظبى للإنماء الاقتصادى .
- اللجنة السعودية التركية المشتركة .
- الصندوق السعودى للتنمية .

وهذه وأمثالها من المؤسسات ذات الطابع التعاونى ستكون عونا للدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى - كما هى فى واقعها الحاضر - ودعامات كبرى فى مختلف المجالات التنموية التى تتطلبها منطلقات السوق الإسلامية المشتركة .

٤- الاعتماد على الذات :

إن الاعتماد على الذات يأتى بعد التوكل على الله سبحانه ثم الأخذ بالأسباب وهو المنطلق الوحيد لتحقيق الاستقلال الاقتصادى والخلاص من التبعية المذلة وإثبات للوجود بما تتوصل إليه الدول الإسلامية فى تعاونها المخلص من تحقيق التفوق فى مختلف

مجالات الحياة.

ولايعنى هذا القول أن الدول الإسلامية أو غيرها من الدول وتستطيع الاستغناء عن غيرها استغناء كليا وانما يعنى أن لاتكون دولا استهلاكية لانتاج غيرها وتقتصر هى على مايدخل عليها من قيمة الموارد التى تستخرجها من أراضيها بجهود غيرها.

والعالم الإسلامى على سعة رقعته وتنوع مواردها وتعداد مواطنيه، وعلى موقعه الجغرافى، لديه من الامكانات ومن المواد الطبيعية ما ان أحسن استخراجها واستثمارها، لكان فى المستوى الذى يرتجيه ويحلم فى تحقيقه.

فهو غنى فى موارده الطبيعية، والمنتجات الزراعية والحيوانية ومصادر الطاقة والمعادن الصلبة والسائلة والاورانيوم.. لدرجة يستطيع معها تحقيق التكامل الاقتصادى والاكتفاء الذاتى فى كثير من هذه الموارد التى يجب أن ينصرف إلى استخراجها واستثمارها بأفراده - ما أمكنه ذلك - وان لايعهد بها إلى من يشتريها بأبخس الأثمان، ثم يستغلها ويصنعها ويبيعها لنا بأغلاها.

كما أن العنصر البشرى فى البلاد الإسلامية غير قليل، وهم المادة الخام الحقيقية التى يجب أن تنصرف إليها العناية والاهتمام، وإذا مااعتنى بتأهيل وتدريب الفرد المسلم، مع ما يتحلى به من أخلاق حميدة، ارتفع مستواه الحضارى، لأنه العنصر الفعال فى استثمار موارده الطبيعية وفى توفير الثروة المادية التى يستطيع بها أن يتزودبالعلوم النافعة وأن يسابق غيره فى حلبة الصراع العالمى ويثبت وجوده وجدارته.

ويمكن الأخذ بمبادىء الاحصاء والتخطيط ودعم التعليم بمختلف مراحله وأقسامه، التوسع فى الاستثمار وتكوين الاطارات

الفنية وتأهيل اليد العاملة ضمن خطوط تنموية مرحلية ومحددة.

ولابد من ملاحظة أن رقعة العالم الإسلامى - على سعتها - يتصل بعضها ببعض، وتمتد من كلا الاتجاهين (شرق وغرب) بشكل أكبر مما تمتد به من الشمال إلى الجنوب، وتحتل بشكل خاص المناطق المعتدلة والاستوائية، وقليلا من المناطق الشمالية الباردة.

كما أنه لابد من ملاحظة الأسباب المؤكدة لفشل التجارب الوحدوية العربية، وهو اهتمامها بالمؤسسات السياسية الفوقية دون اعتبار للتنسيق الاقتصادى والاجتماعى والثقافى كدعامة لها..

وإنه يجب علينا أن نلاحظ ونتأكد من اننا فى واقع لايشرفنا من حيث كوننا مسلمين، مادمنا فى حاجة مستمرة لالتماس معظم حاجياتنا الحيوية من دول ليس بيننا وبينها أية صلة عقائدية أو تاريخية، وان المحتاج يقف ممن هو فى حاجة إليه موقف الأدنى، إن لم يكن موقف الاذل، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين..

وهناك نقاط ذات علاقة بالموضوع لابد من التذكير بها وهى:

١- عصر التسابق العلمى:

ان عصرنا الحاضر هو عصر التسابق العلمى على أوسع مدى، وهذا التسابق لايعطى نتائجه إلا لمن ملك أسباب القوة فى المال والرجال، واستثمر هذا المال فى اعداد الرجال وصقل مواهبهم وإبراز قدراتهم فى مختلف المجالات، فهم الثروة الحقيقية التى لاتعادلها ثروة أخرى، ووضع نصب عينيه تحقيق المصلحة العامة التى ترتفع بأفراد الأمة إلى أعلى المستويات، متجاوزا عن تحقيق الحظوظ الشخصية والمتطلبات الذاتية المفرطة بالأنانية.

وإننا واجدون فى التوجيه الإلهى أوامر تفرض علينا جميعا اعداد القوة دون تخصيص لنوع هذه القوة، لتتمشى مع متطلبات العصر الذى نعيشه.

هذا العصر الذى يتميز عن غيره بأنه عصر التكتلات، كما سبق ذكره، وتجميع القوى وتوحيد الجهود، وأن التعصب الحساس فى تكوين هذه التكتلات - بعد اعداد الرجال - هو المال، وإذا كانت الدول الكبرى الغنية قد احتلت مراكز القوة والسيطرة وفرض النفوذ، فإن مرد ذلك يعود إلى أخذهم بالأسباب دون تواكل أو تسويف، وإنما بذل المال والجهد والدأب فى تحقيق ماتصبو إليه هذه الدول، والمحافظة على تفوقها العلمى والتزود منه ما وسعها ذلك.

وان قيام سوق إسلامية مشتركة سيحقق للدول الأعضاء فيها ما يفقدونه وهم أبعد ما يكونون - فى واقعهم - عن مبدأ التعاون المشترك الذى تحرص عليه هذه الدول المتقدمة صناعيا وماديا..

٢- ضرورة التغيير للأصلح :

إنا نحن معاشر المسلمين فى واقعنا الحاضر نتلمس السبل التى تخفف من تخلفنا أو ترفع من مستوانا، ونتغافل عن السبل التى هى أكثر نفعا لنا وتحقيقا لطموحاتنا، وهى التعاون المشترك فى مختلف مجالات الحياة، ومن أبرزها وأكثرها فعالية المجال الاقتصادى الذى تدعو إليه منظمة المؤتمر الإسلامى وغيرها من الهيئات العاملة فى الحقل الاقتصادى والاجتماعى..

فما أحرانا، وجميعنا يدرك سوء أوضاع العالم الإسلامى - أن نجعل من تفرقنا وحدة، ومن تشتتنا قوة، ومن تجميع امكاناتنا الطبيعية والاقتصادية والبشرية منطلقا لنأخذ مكاننا الذى نستأهله فى خضم هذا الصراع العالمى الذى يفتقد أمة الإيمان، هذه الأمة التى

أعدها الله سبحانه لتكون خير أمة أخرجت للناس ماتمسكت بأوامره وأخذت بتعاليمه وتوجيهاته . .

وأمتنا الإسلامية اليوم تعيش مرحلة هامة من تاريخها المعاصر، فهى ليست فى المستوى الذى ترتضيه لنفسها فقد تخلص معظم شعوبها من الاستعمار الأجنبى، ولكنها بغالبيتها رضيت أن تكون مع الخوالف، تابعة للمستعمر فكريا واقتصاديا واجتماعيا إلا من رحم ربك .

ومن هؤلاء الذين لم تتغشاهم هذه الهيمنة الفكرية والتبعية الاقتصادية والانبهار الحضارى المادى، صدرت صيحات التحذير بضرورة التنبه إلى مآل هذا الانحدار المخيف، وان خير طريق للنجاة من هذا المنحدر الخطر، هو سلوك الصراط المستقيم الذى هدانا الله إليه بقوله :

﴿**وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون**﴾ سورة الانعام الآية ١٥٣ .

٣- الحكمة ضالة المؤمن :

ليس هناك مايمنع الدول الإسلامية من أن تنتفع بتجارب الآخرين، الذين وجدوا المصلحة فى تجميع قواهم وتوحيد جهودهم - على اختلاف عقائدهم وأعراقهم - ورفع الحواجز والقيود عن مواطنيهم، وأموال مواطنيهم فى أن تستثمر وكأنها فى دولة واحدة .

وأن يتحقق فى تجمعهم مبدأ التخصص النوعى والمكانى، والحرص على توفير الأمن الغذائى وأن يتمكنوا من هذا المنطلق من فرض وجودهم على أكبر تكتل آخر سبقهم بالوجود، وان ينافسوه فى تخصصه أو فى امكاناته، وأن لايكونوا تبعا أو فريسة سهلة بسبب

تفرقهم لمن هو أقوى منهم، وأن تكون خبراتهم وخيرات بلادهم مرصودة لصالح شعوبهم المشتركة.

٤- بعض عوامل القوة :

إننا إذا نظرنا إلى أبرز عوامل القوة والتفوق فى ميادين الحياة، وجدناها لاتخرج عن التعاون الصادق، والتناصح المخلص، والتآزر المجدى.. وهذه جميعها عوامل يتداخل بعضها ببعض، وتستتبع عوامل أخرى لاتقل عنها أثرا فى تمتين أواصر المحبة والألفة فى سبيل مستقبل أفضل يلفهم جميعا بظلاله الوارفة ورعايته الشاملة.

وينتفع بآثار هذه العوامل - إذا ما تحققت - أفراد كل دولة من الدول ما أخلص ولاة أمورهم فى حسن قيادة الركب إلى الصراط السوى، وكذلك الدول التى ترتبط برباط العقيدة والمصير..

وذلك بضم قوة إلى قوة، فتتشكل من مجموعتهم قوة هائلة وتكتل ضخم، له من تماسكه ما يستطيع أن يقف أمام تجمعات الدول الأخرى والأحلاف التى تربط فيما بينها موقف الند للند، للمحافظة على مصالح الشعوب الإسلامية ونصرة من يتعرض منهم لهجوم من أعدائهم، وتوفير الرخاء والهناءة والكرامة لأفرادهم، والمسارعة فى مد يد العون لباقى الشعوب الإنسانية المستضعفة أو المنكوبة..

٥- السوق الإسلامية ضرورة حتمية :

ان الدعوة إلى قيام سوق إسلامية مشتركة لم تعد مجرد فكرة عابرة، وإنما هى رغبة ملحة أخذت تتفاعل فى نفوس أولى الأمر، من يوم أن نادى بها خادم الحرمين الشريفين قبل أربعة عشر عاما

عندما كان وليا للعهد بقوله فى ٧ صفر من عام ١٣٩٦هـ:

(إن الأمة العربية ستخوض أى حرب قادمة وستنتصر فيها بإذن الله، وان الوسائل السلمية لم تعد هى الطريق لاسترداد الحقوق، واننا يمكن فى المستقبل أن نشكل جميعا وحدة طبيعية لسوق إسلامية مشتركة أعم وأشمل، وإذا تحققت فكرة السوق الإسلامية يمكن أن يتحقق لكل الأشقاء الخير الكثير فى الحقل الاقتصادى).

هذه هى النظرة الشمولية لآثار السوق فيما إذا قامت على ساقها وآتت أكلها بإذن ربها.

وقد تبنى هذه الدعوة وزادها إيضاحا من الناحية الموضوعية المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى الذى انعقد فى مكة المكرمة فيما بين ٢١ - ٢٦ صفر ١٣٩٦هـ.

وان الجهة المختصة والقادرة على المبادرة فى تحقيق قيام سوق إسلامية مشتركة هى منظمة المؤتمر الإسلامى، الذي انبثق عنها (البنك الإسلامى للتنمية)، كما انبثقت عنها الاتفاقية العامة للتعاون الاقتصادى والفنى بين الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى، وان العمل على تنفيذ بنود هذه الاتفاقية سيؤدى بالنتيجة إلى قيام هذه السوق تلقائيا.

كما أن قادة دول العالم الإسلامى الذين تجمعهم هذه المنظمة، وهم أعضاء فى البنك الإسلامى للتنمية، هم أصحاب الكلمة الفصل فى اتخاذ الخطوة الايجابية لتحقيق هذه الرغبة، أو هذه المصلحة المشتركة ذات النفع المحقق للجميع كما قال خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله -.

(وإذا تحققت فكرة السوق الإسلامية يمكن أن يتحقق لكل الأشقاء الخير الكثير فى الحقل الاقتصادى).

٥- استعراض عوامل الوحدة الإسلامية :

وأخيرا فإنه لابد من استعراض عوامل الوحدة الإسلامية ومؤيدات قيامها بإيجاز، وهى :

أولا : أبرز عوامل الوحدة الإسلامية :

١- وحدة العقيدة (الايمان بما جاء من عند الله).

٢- التكوين الذهنى والسلوك والقيم المستمدة من مبادىء الإسلام.

٣- التاريخ المشترك لدول العالم الإسلامى.

٤- اتصال أراضى البلاد الإسلامية بعضها ببعض ووفرة خيراتها وعدد سكانها.

ثانيا : مؤيدات قيام الوحدة :

١- توليد القناعة لدى شعوب العالم الإسلامى وقادته بضرورة قيام الوحدة، عن طريق المؤسسات العلمية وخطباء الجمعة ووسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

٢- تقليص النفوذ الأجنبى من مختلف المجالات واستبداله بتعاون مخلص بين دول العالم الاسلامى.

٣- تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى فعليا فى جميع الميادين وصولا إلى وحدتها.

٤- توحيد الأنظمة بشكل عام، وبخاصة فى الأمور الاقتصادية

والمالية والتعليمية والاعلام.

٥- مبادرة المخلصين من قادة الأمة الإسلامية إلى العمل المشترك والتعاون الصادق بما تسمح به ظروف كل منهم فى مختلف المجالات الحيوية لشعوبهم، لأن التعاون بين دولتين أو أكثر يتطلب حدا أدنى من التجانس والتعاطف بين السكان والتقارب فى تكوينهم الذهنى وسلوكهم الاجتماعى.

٦- المسارعة من المخلصين من قادة الأمة الإسلامية فى نجدة من يصاب من دول العالم الإسلامى بكارثة أو اعتداء.

٧- تبادل الزيارات من رجالات العلم والاقتصاد والطلاب، والاكثار من إقامة ندوات علمية ومعارض سنوية ودائمة ومهرجانات رياضية وكشفية.

٨- إيجاد مجلس اقتصادى أعلى من منظمة المؤتمر الإسلامى يتولى أمور الاقتصاد وما يتصل بها فى دول العالم الإسلامى وتكون له السلطات العليا فى هذا الخصوص والكلمة النافذة.

٩- السعى إلى تطبيق بنود الاتفاقية الاقتصادية ووضعها موضع التطبيق الشامل ولو كانت ظروف بعض الدول تحول دون ذلك، فيصار إلى تنفيذ هذه البنود مع الدول الأخرى حتى يتاح لباقى الدول المشاركة الفعالة.

١٠- إقامة السوق الإسلامية المشتركة، لتلمس الشعوب الإسلامية آثار التكتل والتعاون فى هذا المجال كما تلمسته دول منظمة المؤتمر الإسلامى الأعضاء فى (البنك الإسلامى للتنمية).

فهرس الموضوعات

صدر من هذه السلسلة

١	تأملات في سورة الفاتحة	الدكتور حسن باجودة
٢	الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه	الأستاذ أحمد محمد جمال
٣	الرسول في كتابات المستشرقين	الأستاذ نذير حمدان
٤	الاسلام الفاتح	الدكتور حسين مؤنس
٥	وسائل مقاومة الغزو الفكري	الدكتور حسان محمد مرزوق
٦	السيرة النبوية في القرآن	الدكتور عبد الصبور مرزوق
٧	التخطيط للدعوة الاسلامية	الدكتور محمد علي جريشة
٨	صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية	الدكتور أحمد السيد دراج
٩	التوعية الشاملة في الحج	الأستاذ عبد الله بوقس
١٠	الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره	الدكتور عباس حسن محمد
١١	لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢	السنة في مواجهة الأباطيل	الأستاذ محمد طاهر حكيم
١٣	مولود على الفطرة	الأستاذ حسين أحمد حسون
١٤	دور المسجد في الاسلام	الأستاذ محمد علي مختار
١٥	تاريخ القرآن الكريم	الدكتور محمد سالم محيسن
١٦	البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام	الأستاذ محمد محمود فرغلي
١٧	حقوق المرأة في الإسلام	د. محمد الصادق عفيفي
١٨	القرآن لكريم كتاب أحكمت آياته [١]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٩	القراءات أحكامها ومصادرها	د.شعبان محمد اسماعيل
٢٠	المعاملات في الشريعة الاسلامية	الدكتور عبد الستار السعيد
٢١	الزكاة فلسفتها وأحكامها	الدكتور علي محمد العماري
٢٢	حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم	الدكتور أبو اليزيد العجمي
٢٣	الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٢٤	الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	الدكتور عدنان محمد وزان
٢٥	الإسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة
٢٦	تربية النشء في ظل الاسلام	الدكتور محمد محمود عمارة
٢٧	مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي	د. محمد شوقي الفنجري
٢٨	وحي الله	د. حسن ضياء الدين عتر
٢٩	حقوق الانسان وواجباته في القرآن	حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠	المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	الأستاذ محمد عمر القصار

٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث	الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]	الدكتور رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت [١]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٦٦-	أصلح الأديان عقيدة وشريعة	الأستاذ عبد الغفور عطار
٦٧-	العدل والتسامح الاسلامي	الأستاذ أحمد المخزنجي
٦٨-	القرآن كتاب أحكمت آياته [٤]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٦٩-	الحريات والحقوق الاسلامية	محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠-	الانسان الروح والعقل والنفس	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١-	كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية	الدكتور شوقي بشير
٧٢-	الاسلام وغزو الفضاء	الشيخ محمد سويد
٧٣-	تأملات قرآنية	الدكتورة عصمة الدين كركر
٧٤-	الماسونية سرطان الأمم	الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥-	المرأة بين الجاهلية والاسلام	الأستاذ سعد صادق محمد
٧٦-	استخلاف آدم عليه السلام	الدكتور على محمد نصر
٧٧-	نظرات في قصص القرآن [٢]	محمد قطب عبد العال
٧٨-	لماذا وكيف أسلمت [٢]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٧٩-	كيف نُدَرِّس القرآن لأبنائنا	الأستاذ سراج محمد وزان
٨٠-	الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ	الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١-	كيف بدأ الخلق	الأستاذ عيسى العرباوي
٨٢-	خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٨٣-	المرأة المسلمة بين نظرتين	الأستاذ صالح محمد جمال
٨٤-	المبادىء الاجتماعية في الاسلام	محمد رجاء حنفي عبد المتجلى
٨٥-	التآمر الصهيوني الصليبي على الاسلام	د. ابراهيم حمدان علي
٨٦-	الحقوق المتقابلة	د. عبد الله محمد سعيد
٨٧-	من حديث القرآن على الانسان	د. على محمد حسن العماري
٨٨-	نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة	محمد الحسين أبو سم
٨٩-	أسلوب جديد في حرب الاسلام	جمعان عايض الزهراني
٩٠-	القضاء في الاسلام	سليمان محمد العيضي

١٢١- الإسلام هو الحل	القاضي الشيخ محمد سويد
١٢٢- نظرات في قصص القرآن	الأستاذ محمد قطب عبد العال
١٢٣- من حصاد الفكر الإسلامي	د. محمد محي الدين سالم
١٢٤- خواطر اسلامية	الأستاذ ساري محمد الزهراني
١٢٥- الإسلام ومكافحة المخدرات	الأستاذ اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٢٦- دروس تربوية نبوية	الأستاذ صالح أبو عراد الشهري
١٢٧- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	د. عبد الحليم عويس
١٢٨- من سمات الأدب الإسلامي	د. مصطفى عبد الواحد
١٢٩- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٣٠- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الثاني]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٣١- المسجد البابري قضية لا تنسى	عبد الباسط عز الدين
١٣٢- التدريس في مدرسة النبوة	د. سراج عبد العزيز الوزان
١٣٣- الإعلام الإسلامي ووسائل التصال الحديث	الأستاذ ابراهيم اسماعيل
١٣٤- تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	د. حسن محمد باجودة
١٣٥- منهاج الداعية	الأستاذ أحمد أبو زيد
١٣٦- في جنوب الصين	الشيخ محمد بن ناصر العبودي
١٣٧- التنمية والبيئة دراسة مقارنة	د. شوقي أحمد دنيا
١٣٨- الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل	د. محمود محمد بابللي
١٣٩- سقوط الأيديولوجيات	الأستاذ أنور الجندي
١٤٠- الطفل في الإسلام	الأستاذ محمود الشرقاوي
١٤١- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها	فتحي بن عبد الفضيل بن علي
١٤٢- لمحات من الطب الإسلامي	د. حياة محمد علي جفاجي
١٤٣- الإسلام والمسلمون في ألبانيا	د. السيد محمد يونس
١٤٤- أحمد محمد جمال (رحمه الله)	مجموعة من الأساتذة الكُتّاب
١٤٥- الهجوم على الإسلام	الأستاذ أحمد أبو زيد
١٤٦- الإسلام والنظام العالمي الجديد	د. حامد أحمد الرفاعي
١٤٧- من جماليات التصوير في القرآن الكريم	محمد قطب عبد العال
١٤٨- الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي	زيد بن محمد الرماني
١٤٩- الماسونية والمرأة	جمعان بن عايض الزهراني
١٥٠- جوانب من عظمة الإسلام	اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

١٥١- الأسرة المسلمة ———— د. حسن محمد باجودة
١٥٢- حرب القوقاز الأولى ———— د.أحمد موسى الشيشاني
١٥٣- المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن
والسنة النبوية - الجزء الثاني ———— زيد بن محمد الرماني
١٥٤- المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم
في مقاومة الغزو الروسي ———— الدكتور السيد محمد يونس
١٥٥- القدس في ضمير العالم الإسلامي ———— اعداد مجموعة من الباحثين

طبع بمطابع رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة